دراسة أ.محمد حسنين هيكل

كلام في السياسة [1]

قصة إرتباط حسين ملك الأردن، والحسن ملك المغرب
بأجهزة المخابرات الأمريكية والصهيونية

تقديم وتلخيص غازي الصوراني

[1] **محمد حسنين هيكل – كلام في السياسة.. قضايا ورجال: وجهات نظر (من بدايات القرن الواحد والعشرين) – المصرية للنشر – الطبعة الأولى – فبراير 2000.**

تقديم:

تميز الإعلامي والمؤرخ الكبير الراحل أ. محمد حسنين هيكل بحرصه الشديد –في كل كتاباته– على توثيق المعلومات والأحداث التاريخية، كما هو الحال في كتابه "كلام في السياسة" الذي استعرض فيه علاقة كل من الملك عبدالله وحفيده الملك حسين، في المشرق، والملك الحسن في المغرب، مع أجهزة المخابرات الأمريكية والصهيونية، ويكشف عن دورهم الخياني تاريخياً، ذلك الدور الذي بدأ مع حسين بن طلال استمراراً وتواصلاً مع خيانة جده عبدالله وعلاقته بالحركة الصهيونية، إلى جانب دور ملك المغرب "الحسن" الخياني لحساب الحركة الصهيونية، وهي عمالة/ خيانة لم تنقطع (بدعم المخابرات الأردنية ومعظم قيادة الجيش)، بل حرصت أجهزة المخابرات الامريكية والبريطانية والإسرائيلية وغيرها، على متابعة ذلك الدور الخياني، ومواصلته من خلال العديد من الانظمة العربية عموماً وأنظمة السعودية ودويلات الخليج خصوصاً، حيث نلاحظ انتقال عمالتهم من إطار السرّي إلى الإطار العلني الوقح راهناً في مرحلة الانحطاط والخضوع والتطبيع والاعتراف بالدولة الصهيونية، بوقاحة عز نظيرها دون أدنى شعور بالذنب تجاه استسلامهم وخضوعهم للتحالف الامبريالي/ الصهيوني ، والتخلي الكامل عن حقوق شعبنا ليس التاريخية فحسب، بل أيضاً التخلي عن حقه في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس، إلى جانب اقرارهم بخطة ترامب أو ما تسمى بـ"صفقة ترامب" وصمتهم عن مخططات العدو الصهيوني الهادفة إلى ضم 30% من الضفة الفلسطينية، كل ذلك لحماية عروشهم ومصالحهم الطبقية على حساب مصالح شعبنا وشعوبنا العربية، الأمر الذي يفرض –وبإلحاح– أن نعود إلى إحياء شعار النضال من أجل إسقاط هذه الأنظمة –في إطار التنسيق مع الحركات والأحزاب العربية التقدمية– انطلاقاً من قناعتنا أن الصراع هو صراع عربي – إمبريالي وصهيوني معاً، ما يفرض علينا العودة إلى الالتزام بكلمات رفيقنا القائد الراحل جورج حبش: "لا يجوز بأي شكل من الأشكال أن نسمح لهذه الأنظمة الرجعية بتغطية حقيقة مواقعنا،

إن دور الثورة الفلسطينية على هذا الصعيد، على صعيد الاسهام في بلورة حركة تحرر وطني عربي في السعودية في اليمن الشمالي، في الخليج العربي تبدأ في أن تقول الثورة الفلسطينية وتطرح للجماهير الفلسطينية والعربية فكراً ثورياً ملتزماً، وكلمة مسؤولة، ولن يكون ذلك على حساب الثورة بأي شكل من الأشكال، إن الثورة تستطيع عندما تتثور بالمعنى الحقيقي، وعندما تستند فعلاً إلى طلائع وإلى جماهير معبئة أن تحقق أهدافنا الثورية القومية والوطنية"[2].

تعالوا أيها الرفاق والاصدقاء نقرأ معاً قسماً هاماً من تاريخ الخيانة والعمالة، لا لكي نتعلم الدروس والعبر فحسب، بل أيضاً لكي نتخذ موقفاً صريحاً ومبدئياً مع كافة القوى القومية اليسارية العربية لتفعيل النضال القومي الهادف إلى الخلاص من أنظمة الخيانة، ومن ثم توفير الامكانات العربية لمواجهة وهزيمة دولة العدو الصهيوني، وإقامة دولة فلسطين العربية في إطار المجتمع العربي الاشتراكي الديمقراطي الموحد.

غازي الصوراني

2020/11/15

[2] مقطع فيديو للرفيق القائد الراحل جورج حبش حول الموقف من الأنظمة الرجعية، منتصف سبعينات القرن الماضي.

شخصية الملك حسين

ضرورات الفهم .. قبل الحكم

(1)

يقول الإعلامي الكبير الراحل أ.محمد حسنين هيكل : إذا كان هناك دليل مادي مطلوب لكشف أحوال العالم العربي في نهاية القرن العشرين – فإن مشهد جنازة الملك حسين مَلِك الأردن الراحل – هو ذلك الدليل المادي المطلوب!

وليس في ذلك كله ما يسئ إلى جنازة المَلِك "حسين" فلقد كانت جنازة مهيبة جليلة في نواح عديدة منها.

إن ذلك التقدير لدور المَلِك ومشاعر الناس من أبناء شعبه لا يحجب ملاحظات يصح تسجيلها:

أولها: أنه من المؤكد الآن أن المَلِك عاد من الولايات المتحدة الامريكية وهو في حالة "موت طبي"، وكانت الاجهزة الصناعية وحدها تستخرج أنفاسه، وتستبقي دقات قلبه وإن على وهن!

وفيما يبدو فقد كانت تلك فسحة من الوقت مطلوبة لعودة المَلِك إلى وطنه، ولمنح بعض الضيوف فرصة استعداد للسفر إلى عمان، وزاد على ذلك – كما تَكَشَّف فيما بعد– أن فسحة الوقت كانت مطلوبة لتسوية خلافات بين أطراف العائلة خصوصاً في شان ولاية العهد، وكان المَلِك "حسين" من الأصل يرغب أن يخلفه ابنه (من الملكة نور) الأمير حمزة، ولم تمكنه نصائح دولية وإقليمية من إنفاذ إرادته، فأعاد الأمر إلى الأكبر من أبنائه وهو "عبدالله" ثم أصر على ولاية العهد لـ"حمزة".

معرفتي بالمَلِك "حسين" كانت وثيقة، وأظن أن ذلك كان تقديره أيضاً – وأزعم أنني خالطته عن قرب ومن زمن، فقد لقيته لأول مرة وعمره اثنا عشر عاماً، وكان ذلك عندما ذَهبْت لمقابلة صحفية مع والدته الأميرة "زين" في فندق "شبرد" القديم في القاهرة – سنة 1947– وكانت يومها زوجة وليّ عهد الأردن الأمير "طلال" (وأصبحت فيما بعد مَلِكة على الأردن وظل لها اللقب رسميا حتى توفيت).

ثم صادفت المَلِك "حسين" بعد ذلك مرات عديدة يركب دراجته في حديقة قصر "رغدان" مَقَرَ جَدِّه –وكنت وقتها مراسلا مُتَجَوِّلا لـ"أخبار اليوم" في الشرق الأوسط، وكان قصر "رغدان" أهم بؤرة في السياسة العربية في ظروف حرب فلسطين سنة 1948 – ولذلك كثر ترددي عليه للقاء المَلِك "عبد الله"، وكثرت رؤيتى لحفيده ووقوفى مرات عديدة معه.

ثم تابعت المَلِك "حسين" بعد ذلك غداة اغتيال جَدِّه – وكنت أغطي الحدث (سنة 1951) حتى كانت المناداة بوالده الامير "طلال" ملكا على الأردن.

ثم عدت إلى متابعته أثناء مشاورات سياسية وعائلية جرت في قصر "بسمان"، وكان يديرها رئيس وزراء العراق "ثوري السعيد" (باشا) والسير "أليك كيركبرايد" المُعتَمَد البريطاني في عَمَّان، ومعهما الجنرال الانجليزي "باجوت جلوب" (باشا) قائد الفيلق العربي –!– وكان موضوعها مشكلة الملك "طلال".

وقد أصبحت هذه المشاورات مطلوبة إثر روايات وحكايات شاعت وذاعت عنه –ثم تقرر بعدها الحَجْر عليه وتم ترحيله إلى إستانبول حيث أودع مصحا للأمراض النفسية قضى فيه بقية عمره.

لم تكن علاقتي بالمَلِك "حسين" بسيطة، ولعها كانت أقرب إلى أن تكون علاقة مركبة، وفي بعض الأوقات معقدة! – والسبب أن كلينا كان يعرف انه يتصرف حيال الآخر من موقف مختلف.

فهو – في اعتقاده واعتقادي– يقف على ضفة – وبنفس المعيار– وفي اعتقاده واعتقادي– فقد كنت أقف على الضفة الاخرى، لكننا برغم التناقض أقمنا صلات بين رجلين، كلاهما غارق مستغرق في الشأن العربي العام مع اختلاف التقديرات والضرورات لدى كل منهما.

وأتذكر على سبيل المثال أنني سنة 1990 ظننت أن الأمور وصلت بيننا إلى درجة القطيعة، لأنني نشرت تحت عنوان "الانفجار" كتابا عن وقائع نكسة سنة 1967 – وفي الكتاب فصول تناولت دور المَلِك "حسين" في تلك الوقائع، وبينها أنه كان يعرف الكثير من تفاصيل مؤامرة جَرّ مصر إلى فخ تلك الحرب، وأن مجيئه المفاجئ إلى القاهرة في 30 مايو 1967 – أي قبل بدء الهجوم الإسرائيلي بأيام – وتطوعه بدخول المعركة مع مصر– وتصرفاته السياسية والعسكرية طوال هذه الحرب– تثير جميعها أسئلة تطرحها وثائق تحفل بتلميحات وإشارات ترقى إلى مستوى الشك – على أقل تقدير.

وهكذا نَشَرْتُ سنة 1990 – وبغير اتهام – ما توصلت إليه بشان دور المَلِك "حسين" في حرب سنة 1967، وظننت أن تلك نهاية الطريق في علاقتي مع "سَيِّد عَمَّان".

(2)

والذي حدث بعد شهور من نشر كتاب "الانفجار 1967" (فبراير 1990) – أن انفجارا من طراز آخر وقع في الشرق الأوسط، حين أقدم العراق على احتلال الكويت (أغسطس 1990)، ثم توالت الحوادث خاطفة إلى "عاصفة الصحراء" (يناير 1991) – وكان للمَلِك "حسين" في اجواء تلك السنة الحافلة دور رئيسي ومِحْوَري ، وفي مطلق الاحوال فإنه كان السياسي العربي الوحيد الذي ظل من البداية إلى النهاية على اتصال بجميع الأطراف، مُتابِعا لكل التطورات، وكان من حظه أن أصحاب القرار العالمي في واشنطن – وهُم يعرفون أحواله – تركوا له مجاله يتحرك فيه بحرية لم يتركوها لغيره.

منذ ذلك الوقت سنة 1991 ظللت ألتقي الملك "حسين" عدة مرات في السنة، وأكثر لقاءاتنا في لندن، وساعد على ذلك أننا ننزل نفس الفندق فيها "كلاريدج"، وحتى بعد أن اشترى المَلِك قصرا في "كنستجتون" لإقامته في العاصمة البريطانية، وقصرا في الريف القريب منها (Surrey) لعطلات نهاية الأسبوع – فإنه احتفظ بجناح في فندق "كلاريدج" اتخذه شبه مكتب في قلب العاصمة البريطانية.

شخصية المَلِك "حسين" بما يتداخل فيها إجمالا وتفصيلا يَصعْبُ فهمها – حتى وإن استحال في بعض الاحيان تبريرها – إلا بالنظر إلى وجوه الحقيقة المختلفة، وهي في حالته كما قلت: رسوم وشْمِ جرى دقه دقا على جلد لحمه الحي!

(3)

واذا بدأنا بحكم الجغرافيا وهو بالفعل أهم وجوه الحقيقة فيما يتعلق بالأردن وملكه – فسوف يتأكد أن الجغرافيا كانت شديدة الصرامة مع الاثنين، فتلك دولة اصطُنِعتَ بقرار سياسي خلافاً لما هو طبيعي في نشأة الدول، وكان إنشاؤها بتوجيه من "ونستون تشرشل" وزير المستعمرات البريطاني أثناء مؤتمر عُقِد في القاهرة برئاسته في فندق "سمير أميس" (عام 1921)، وعلى جدول أعماله مستقبل الممتلكات البريطانية في الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الأولى وما وقع خلالها وبعدها من أحداث أهمها معاهدة "سايكس بيكو" التي قَسَّمت إرث الخلافة العثمانية أنصبة بالاتفاق بين بريطانيا وفرنسا، ومن ثم رَسَمَت للمنظمة خريطة جديدة.

كان وزير المستعمرات البريطاني "ونستون تشرشل" هو المهندس الأول للخريطة على الجانب البريطاني، وقد راح يخطط، وبين ما خط موقعٌ تَحَيَّر الذين رسموه في اختيار اسم له، ثم كان أن استعملوا وصفا جغرافيا بسيطا هو "شرق الأردن".

والدول لا تسمى في العادة على هذا النحو، والمألوف أن الدول الجديدة تستعيد اسما قديما ينسب نفسه إلى أصل تاريخي، أو سلالة بشرية، أو قبيلة، أو نهر، او حتى لغة – لكن نسبة الأوطان إلى اتجاهات أو مواقع على خريطة، سابِقَةٌ لم تحدث من قبل، وعلى أي حال فقد كانت للضرورات أحكامها، وظهرت إمارة "شرق الأردن" و"عبد الله" على عرشها عام 1921 [3].

لكن الخريطة كان عليها موقع آخر اختار له أصحابه اسما من أساطير التاريخ وليس من تضاريس الجغرافيا: إسرائيل.

والواقع أن قرار إنشاء "شرق الأردن" يمكن اعتباره ملحقا إضافياً إلى معاهدة "سايكس بيكو"، وهو رابط بينها وبين وعد "بلفور" الذي اعطى اليهود حقاً بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

والشاهد أن "شرق الأردن" تكاد تكون مساحة على خريطة تنطق حدودها بالمطلوب منها مجملاً على النحو التالي:

1. **إذا كانت المملكة الجديدة هي "شرق الأردن" – فإن غرب الأردن هو فلسطين حيث أعطت بريطانيا لليهود حقا بإنشاء دولة يهودية، وإذا كان إنشاء دولة يهودية مطلوبا– فإن نقطة مراقبة وحراسة – بريطانية وعربية إذا أمكن – تصبح مطلوبة، على مقربة.**
2. **إن موقع "شرق الأردن" محشور بين الحجاز (المملكة العربية السعودية فيما بعد) وبين سوريا – وفي نفس الوقت محشور بين العراق وبين الدولة اليهودية الموعودة وإلى حد ما بين العراق وسوريا أيضاً.**
3. **إنه مع ظهور احتمالات البترول المؤكدة في مناطق الخليج وشبه الجزيرة العربية – ومع إمكانات ظهور دولة يهودية لا يزال قيامها وحجمها وقدرتها وقبول الجيران بها، أسئلة تنتظر**

[3] يقول تشرشل في مذكراته، أن وايزمن (رئيس الوكالة اليهودية آنذاك) اعترض على قيام "إمارة شرق الأردن" فقال له تشرشل: عليك أن تفهم يامستر وايزمن أننا قررنا إقامة هذه الإمارة لكي تستوعب الفلسطينيين الذين سيخرجوا من فلسطين بعد إقامة دولتكم، وعلى الفور قدم وايزمن اعتذاره وشكره إلى تشرشل وبريطانيا (د.ث)

– فإن "شرق الأردن" وحتى يبين جواب الأسئلة يمكن أن يقوم بدور حاجز بين اليهود في فلسطين ومنابع النفط العربي، وخصوصا إذا تأزمت العلاقات – وهي مُعَرَّضة في الغالب أن تتأزم – بين اليهود والعرب!

4. **إن المنطقة التي اقتُطِعت لإمارة "شرق الأردن" فقيرة وتكاد تكون بلا موارد، ثم إنها في حالة شبه حصار حيث حشروها، وهذا يجعلها في حاجة دائمة إلى مساعدة اجنبية ، وذلك يجعل بريطانيا في وضع فريد، فهي الغريب القريب في نفس الوقت، وإذا كانت هي التي خططت ورسمت وأنشأت وساعدت، فإن الكلمة العليا لابد أن تكون لها، ومهما يكن فإن التكاليف محدودة – اثنا عشر مليون جنيه استرليني سنوياً، نصفها لحكومة المَلِك "عبدالله"[4]، ونصفها الآخر لجيش يرفع رايته.**
5. **إن قيام كيان سياسي في "شرق الأردن" تحميه بريطانيا وتتحكم فيه، يصنع بالفعل نقطة اتصال أساسية بين أهم القواعد العسكرية الإمبراطورية في الشرق الأوسط، وكانت قاعدة قناة السويس غربا في مصر وقاعدة الحبانية شرقا في العراق هما أهم هذه القواعد، وفي "شرق الأردن" جرى إنشاء قاعدة "الزرقاء" في المفرق وهي نقطة في الوسط تماما من خط المواصلات البريطاني بين وادي النيل وأودية دجلة والفرات.**

وهكذا جرى رسم حدود دولة "شرق الأردن" وتعيين "عبدالله" اميرا عليها – وكذلك تقرر إنشاء جيش لها روعى أن يكون جنوده من البدو بتصوُّر أن ولاء المقاتل البدوي مضمون لشيخ قبيلته – أو للأمير الكبير فوق شيخ القبيلة، وقد اختير لهذا الجيش اسم "الفيلق العربي" ، ونُصِّبَ على قيادته ضابط بريطاني هو "جون باجوت جلوب"، وبقصد تعريب الجنرال البريطاني، فقد منحه الأمير "عبدالله" رتبة الباشوية الهاشمية فأصبح اسمه" جلوب باشا"!

إن ذلك الدور الذي حكمت به الجغرافيا على إمارة "شرق الأردن" ظهرت فوائده في الحرب العالمية الثانية حين أصبحت منطقة "المفرق" مرتكزا رئيسيا لقيادة القوات البريطانية في الشرق الأوسط – كما أصبح الفيلق العربي الذي اتخذ قيادته في قاعدة "الزرقاء" طليعة القوات البريطانية التي ضربت انقلاب "رشيد عالي الكيلاني" –1940 – وأعادت الفرع "العراقي" للأسرة الهاشمية إلى عرش بغداد بعد طرده منها.

وقد تكرر نفس الشيء بعد ذلك حين أصبح الفيلق العربي (والفيلق اليهودي أيضاً) – طليعة قوات الجنرال "ميتلاند ويلسون" عندما طُرِدَ الألمان من سوريا – يوليو 1941– بعد أن جاءوا إليها بسماح من حكومة "فيشي" التي قامت في فرنسا بعد سقوط باريس واستسلامها أمام جيوش "هتلر"!

---

[4] كان مُرتَّب الملك "عبدالله" ثلاثة آلاف جنية استرليني في الشهر (36 ألف في السنة) – وكان المَلِك يشعر أن المبلغ لا يكفيه، وابتداء من الثلاثينات بدأ المَلِك يتلقى عائدا منتظما من جهات يهودية تولت أمر استغلال أملاك له في فلسطين (هيكل).

إن ذلك الموقع الجغرافي بعد ذلك هو الذي وضع الفيلق العربي داخل فلسطين عندما بدأ مشروع إنشاء الدولة اليهودية يأخذ شكله النهائي بعد الحرب العالمية الثانية، وكان دخول هذا الفيلق إلى فلسطين ضمن قيادة قائد القوات البريطانية فيها وتحت تَصَرُّف حاكمها العام الجنرال "آلان كنجهام".

وهكذا، فإن حكم الجغرافيا وضع عرش "شرق الأردن"(الأردن فيما بعد) وسط دوامة السياسة، وفي قلب الحدود والتخوم بين مصر والعراق، وبين سوريا والسعودية، وبين العرب واليهود، وبين فلسطين وإسرائيل ، وبين بريطانيا وأمريكا.

وباختصار، فإن موقع الأردن الذي كان بالجغرافيا الطبيعية بقعة ساكنة على الخريطة أصبح بالجغرافيا السياسية فوهة بركانية متفجرة أو مستعدة للتفجير عند أي حركة محسوبة أو غير محسوبة، ذلك عن حكم الجغرافيا وقد كان قاسياً!

(4)

إذا كانت تلك قسوة الجغرافيا على مملكة المَلِك "حسين" وقت إنشائها في عهد جده – فإن قسوة التاريخ كانت أشد.

إن المملكة كانت بغير تاريخ قديم يخص الشعب الذي يعيش فيها حين أنشئت الدولة الجديدة وأقيم عرشها – إلا بمقدار ما يخص التاريخ العربي في مجمله كل العرب في عمومهم.

والشاهد أن المنطقة التي أنشئت فيها إمارة "شرق الأردن" كانت محرومة من وفرة الموارد، ولهذا فإنها لم تعرف مجتمعات مستقرة تترك وراءها، بمضى العصور، تراكمات حضارية متواصلة، لكن المنطقة في عموم أحوالها كانت ممراً أكثر منها مقاماً.

كانت عَمَّان التي وصل إليها ركب الأمير "عبد الله بن الحسين" معاتبا لأبيه ومغاضبا لشقيقه الأصغر منه – قرية صغيرة تتناثر بيوتها على مجموعة من التلال، وكانت حياتها تجارة محدودة وزراعة في واحات محصورة حول بئر هنا أو بئر هناك، ثم بعض مبانٍ إدارية تركتها الإمبراطورية العثمانية وراءها حين كانت عَمَّان محطة ضرورية على الطريق من دمشق إلى مكة والمدينة في الحجاز.

ولم يكن الأمير "عبد الله" شديد السعادة بالإمارة التي أقطعه إياها وزير المستعمرات البريطاني، وقد قال وقتها، وظل يقول حتى سمعتها منه سنة 1948 – أن هناك "ممالك دون ملوك" وهناك "ملوكا بدون ممالك".

وفي صميم قلبه – وعلى لسانه إذا وجد من يسمع ويكتم السر – فإن الملك "عبدالله" لم يكن سعيدا على الإطلاق بمن يراهم حوله من ملوك العرب، فالملوك السعوديون مغتصبون للملك مرتين: من أسرة "الرشيد" في نجد، ومن أسرته هو –والده مباشرة– في الحجاز .

والملوك المصريون "ألبان" ، لا هم من العرب ولا هم من قريش، ثم إنهم يتعاملون مع بقية الأمراء باستعلاء، رغم أنهم بلا حسب ولا نسب يعطيهم سببا للفخار، وحتى ملوك العراق رغم أنهم إخوته وأبناؤهم – خانوا الأخ والابن، وخطفوا العرش العراقي ممن يستحقه وهو (عبدالله) أولهم وأكثرهم جدارة لأنه أكبر من شقيقه الملك "فيصل" وأسبق في الاتصال بالإنجليز لترتيب الثورة ضد العثمانيين.

ومن هنا بالتحديد، فإن تاريخ الهاشميين يصبح مقدمة لاغنى عنها في فهم سياسة الأردن من عصر الجد "عبد الله بن الحسين" إلى عصر الحفيد "حسين بن طلال"!.

- وتاريخ الهاشميين بالدرجة الأولى مشكلة.
- وحكايتهم من القرن السابع الميلادي وحتى القرن العشرين مأساة.
- ثم إن التعقيدات التي صنعوها وصنعتهم – مشكلة ومأساة– تركت آثارها عليهم وعلى التاريخ الإسلامي، وعلى السياسة العربية المعاصرة من وقتها وإلى اليوم – وكانت النتائج– ولازالت– مُرْهِقة!

(5)

إن الأمير "عبدالله" الذي أقام مضارب خيامه على جبل عمان، بدأ يبني بيتا هناك يتخذه مَقَرا يحكم منه إمارته الجديدة "شرق الأردن"، ثم راح يمد بَصَره إلى الضفة الأخرى للنهر حيث الأرض الخضراء والمراكز الحضرية للمجتمع الفلسطيني الذي هزته اليقظة العربية العامة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وإعلان الرئيس الامريكي "وودرو ويلسون" بحق شعوب المستعمرات في تقرير مصيرها، والآمال التي تعلقت بمؤتمر الصلح في "فرساي" حيث كان الرجاء أن يظهر نظام عالمي جديد!

وفي ذلك الوقت وفي تلك الأجواء، فإن الحلم الذي تَبَدَّى على الفور للأمير "عبدالله" والذي أقنعه بقبول إمارة "شرق الأردن" مقدمة لجائزة أكبر منها – كان حلم فلسطين، فلو استطاع أن يمد إمارته من "شرق الأردن" إلى غربه وأطل على البحر الأبيض إذن فإنه يصبح مِلَكاً لمملكة كبرى لا تقل اهمية عن مملكة العراق التي كانت من نصيب شقيقه الأصغر "فيصل" ثم لعله إذا أخذ فلسطين أحاط بعدها بسوريا، وإذن أصبح قريباً من الحلم الذي راود والده وأصحابه – بدولة عربية كبرى تملأ الهلال الخصيب من البحر الأبيض إلى الفرات!

ولم يكن الأمير "عبد الله" في حاجة إلى جهد كبير لكي يدرك أن العقبة الكبرى أمام مشروعه هي الوعد البريطاني بوطن لليهود في فلسطين، ولقد أدرك اهمية "وعد بلفور" – كما أدركه من قبله أخوه الملَكِ "فيصل" حين رَتَّب له "لورانس" أن يلتقي قرب "العقبة" بالدكتور "حاييم وايزمان" رئيس الوكالة اليهودية الشهير (وأول رئيس لدولة إسرائيل فيما بعد)، وفي ذلك اللقاء وكما تبين

من نصوص مَحَاضِرَه – فإن "فيصل" تَبَيَّن أن قبوله بحق اليهود في فلسطين هو جواز مروره إلى أي مملكة في المشرق– وقد قَبِل.

ولما كان الامير "عبدالله" أكثر طموحاً من شقيقه، فإنه لم يكن فقط على استعداد لأن يَتَبيَّن ويقبل، ولكنه كان على استعداد لأن يساعد ويُسّهِّل، وهكذا فإنه عرض على الوكالة اليهودية وطنا قومياً في إطار حكم ذاتي (فيدرالي) داخل حدود مملكته.

وبذلك العرض فإن الأمير "عبدالله" أثبت أنه تعامل مع اليهود دون أن يعرف شيئاً عن حجم مشروعهم، وقد تصور أنه يستطيع ان يستعمل طموحهم لتحقيق حلمه، وكانوا أقدر منه على استعمال حلمه لتحقيق طموحهم.

وعندما أصدرت الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين سنة 1947، فقد كان المَلِك "عبد الله" لا يزال أسير أوهامه، يتعامل مع الوكالة اليهودية، ويقابل جميع أقطابها – مدنيين وعسكريين (وايزمان – جولدا مائير– إلياهو ساسون– وحتى موشي ديان) لكنه ظن وحتى آخر لحظة أنه يستطيع إغراءهم بفيدرالية داخل مملكته "حقنا للدم وابتغاء وجه السلم"!

إن الوكالة اليهودية سارت في مخططها الذي اعدت نفسها وسلاحها ونفوذها له منذ صدر وعد "بلفور" وأعلنت قيام إسرائيل، وتلاءم أمير "شرق الأردن" بسرعة مع المخطط الجديد، ولم يكن لديه غير ذلك لأن جيشه كان يحمل رايته دون أن يلتزم بأمره.

ومن قبل أن يدوي صوت الرصاص في حرب فلسطين بعد إعلان قيام إسرائيل، فإن المَلِك "عبدالله" رَتَّب نفسه على أن يكون الجزء المخصص للعرب بقرار التقسيم امتدادا لمملكته، لكن إسرائيل لم تترك له الفرصة، وإنما زحفت مندفعة إلى بعيد وراء خطوط التقسيم.

وكان أن تواضع مطلب "عبدالله" إلى القبول باخذ ما تبقى من فلسطين بعد عاصفة النار الإسرائيلية، وفي سبيل تحقيق ذلك، فإن المَلِك "عبدالله" راح يعمل – وبكل الوسائل– على خروج جميع العرب الآخرين من فلسطين بحيث لا يظل على أرضها من العرب غيره، وقد وصل في ذلك إلى حد التلاقي الكامل في النوايا– وترتيبا على ذلك في الخطط – مع إسرائيل، وكانت وطأة هذا التلاقي شديدة على الجيش المصري في الجنوب كما تؤكد الوثائق.

وعندما سكتت المدافع، فإن حرب 1948 انتهت، وقد استولت إسرائيل بالغزو المسلح على 72% من الأراضي غرب الأردن (مرة ونصف بالزيادة عن قرار التقسيم).

وكان أن قنع المَلِك "عبدالله" بان يأخذ ما تبقى غرب الأردن من أشلاء فلسطين (الضفة الغربية) ويضمه إلى إمارته يحَوِّلها إلى مملكة تعقد له البيعة عليها.

لكن المَلِك "عبدالله" في هذا كله كان يحتاج إلى غطاء شرعي، وكان الغطاء الشرعي جاهزاً، ومن وقتها زاد التركيز على عنصر المسئولية التاريخية الخاصة والدور السياسي الخاص الموكول إلى "الهاشميين" استناداً لهذه المسئولية.

وكانت تلك دعوة راجعة عكس حركة الزمن، وربما أن بعض آثار الماضي البعيد جرى استخراجها من حفائر طبقات غائرة في تربة التجربة العربية والإسلامية، وأعيد بعثها لكي تخدم مطالب مُسَتَجدَّة وطارئة، ومع أن تلك كانت عِلَّة ملائمة أخذ بها الإنجليز في ظروف الحرب العالمية الأولى، فإن الاستمرار فيها وتحويلها إلى سياسة – شملت صياغة اسم البلد ذاته (المملكة الأردنية الهاشمية) – أصبح مخاطرة لا لزوم لها، لأنها تضفي على بعض التصرفات الصحية أو الخاطئة مسحة من العصمة تصد عنها حق الدرس والمناقشة والتقييم بدِقَة وموضوعية وبدون تَحَرُّج من رموز يُعاد بعثها بعد زمانها!

لكن بعض أمراء الأسرة الحاكمة في عَمَّان بالذات، بالغوا في تقديم الأسطورة الهاشمية، وجعلوا منها حقيقة سياسية ليس يحق إنكارها، ووصل بعضهم في المبالغة إلى بعيد!

ولما كان هدف هذا الحديث كله هو الفهم قبل الحكم – فلابد من الاعتراف بأن الهاشميين في بعض الظروف كانوا ضحايا تجربة صنعوها وصنعتهم – لكنه من سوء الحظ أن الأمة دفعت ضرائب هذه الظروف، وكذلك دفع "الهاشميون".

وربما كان المَلِك "حسين بن طلال" نفسه أكثر دافع لضرائب المشكلة والمأساة، وقد بدأ "حسين" يدفع وهو صبي في الثانية عشرة من عمره تصادف وقوفه بجوار جده المَلِك "عبد الله" على أبواب المسجد الأقصى بعد انتهاء صلاة الجمعة في احد أيام شهر يوليو 1951، وكان الذي أطلق عليه الرصاص فلسطينيا – ضمن مليون فلسطيني أضيفوا إلى رعاياه حين أضاف إلى مُلكِه ما تبقى من فلسطين – ولم يكن هذا الفلسطيني الذي أطلق الرصاص مقتنعا بالغطاء الهاشمي عصمة كافية لتصرفات "المَلِك "عبدالله" في فلسطين.

وكان الرصاص المدوى والدم المسفوح على عتبات المسجد الأقصى بداية وَشْم التاريخ بالحريق على لحم صبي هاشمي بدأ يواجه قَدَرَه ويستعد لدوره – مَلِكاً على الأردن لمدة ست وأربعين سنة!.

(6)

"الجغرافيا ظل الله على الأرض"، و"التاريخ ظل الإنسان على الطبيعة" – وبين الاثنين يدير كل إنسان تجربته –أو يحاول– في مناخ عصر بذاته، وهنا يحين موضع الحديث عن دور العصر وحكمه في صنع شخصية المَلِك.

إن طفولة المَلِك "حسين" لم تكن سعيدة، لكن التعاسة في حياة أسرة ولي العهد (الأمير طلال) أن علاقته بوالده المَلِك "عبدالله" كانت سيئة لخلافات شملت كل شيء تقريباً: من المشاكل المادية، إلى صحبة الناس، إلى آراء بدت للمَلِك العجوز طائشة، إلى سلوك كان غالبا موضع انتقاده.

وفي ذات الوقت فإن علاقة ولي العهد (الأمير طلال) بزوجته الأميرة "زين" لم تكن على ما يرام لأن زوجها هجرها إلى فتاة إيطالية اسمها "فلافيا" كان أبوها طبيباً جاء من بلاده إلى عَمَّان يفتح مستشفى صغيرا وجد دَخْلَه أفضل بكثير مما كان يستطيع الحصول عليه لو بقي في بلاده.

وكان الصبي الهاشمي الذي أصبح مَلِكًا على الأردن بعد مشاهد درامية متلاحقة بينها شقاء والدته، ومصرع جده، والحجر بالجنون على أبيه طلال –يرى هذا كله من حوله ويختزن في نفسه ويجتر، وتتراءى له مشاهد من الماضي البعيد ومن الماضي القريب، وتزيد عليه ضغوط المشكلة والمأساة في تاريخ الهاشميين.

ثم إن المَلِك الصبي كان يتأمل أوضاع بلده ويشعر حتى دون أن يُدرِك – ان الدواعي التي تشعره بعقدة الاضطهاد ليست تاريخية، وإنما هي سياسية أيضاً، فمملكته محشورة بين من هم أقوى منها، ونصف شعبه وهو من فلسطين ناقم على أسرته إلى درجة القتل، وموارد بلده منحة من القوى الكبرى التي رسمت حدوده وأقامت عرشه وانفردت بالنفوذ في عاصمته ، ومن حوله مجموعة دول عربية كلها تسئ الظن في أسرته لسبب أو آخر (السعوديون بعداء قديم مع الهاشميين، وسوريا باعتقاد ان الأردن جزء سُلِخ من جنوبها، ومصر من تجربة حرب فلسطين).

ثم إن كونه وافدا إلى العرش الأردني شابا جديداً لم يكن كافيا ليُغفَر له إلا إذا تحرك على هوى الآخرين بسرعة يعرف هو قبل غيره أنه ليس قادراً عليها بطبيعة الظروف، خصوصاً وقد كان الجميع (كل العرب) أمام قوة إقليمية (إسرائيل) لديها مطامع تتخطى ما حصلت عليه من أرض، وقد هضمت ما ابتلعت ، وهي الآن شهية مفتوحة لالتهام الضفة الغربية من مملكته، وإذا استطاعت فإنها جاهزة أن تمد يدها إلى الشرق وفي خططها أن تقترب أكثر من منابع النفط في العراق والخليج وأن تدخل بالقوة والقسر– طرفا رئيسياً في موارد المنطقة الاقتصادية والاستراتيجية.

وكان على المَلِك "حسين" – وتلك نصائح جده– أن يوفر لنفسه من الحذر ما يجعله ولو بالغريزة– قبل الحكمة– يرسم لنفسه سياسات تضمن كل متطلبات السلامة والنجاة– وكذلك تحددت خطوط سياسته:

1. **عليه أن يتمسك بعلاقته بالقوة العظمى المهيمنة على بلاده وفي المنطقة.**
2. **ومع أنه عرف أن جَدَّه حين قُتِل كان يتفاوض على صلح منفرد مع إسرائيل، فإن الظروف تفرض عليه أن يتمهل ولا يتوقف تماماً مع إسرائيل، وأن ينتظر الظروف وفي نفس الوقت لا يتخطى الحدود ولا حتى بالهمس أو باللمس!.**
3. **وعليه أن يجد لنفسه قدر الإمكان أصدقاء من العرب – لأن لديه بالفعل بينهم من الأعداء كفاية.**

* * * *

وبعد سنة على العرش – 1952– كان المَلِك – فيما بدا أمامه – يواجه ما لا طاقة له به:

أولاً: حدث تغيير كبير في موازين القوة في الشرق الأوسط ، وأخذت الإمبراطورية البريطانية تتراجع وتترك موقع السيطرة في المنطقة للإمبراطورية الامريكية الصاعدة إلى قيادة الغرب بسرعة الصاروخ.

ثانياً: ثم إن هذه القوة الإمبراطورية الأمريكية تريد قيادة العالم وليس قيادة الغرب وحده، ولهذا فقد دخلت إلى صراع عنيف عقائدي وسياسي وعسكري (إلى حد ما) مع القوة الأخرى التي خرجت منتصرة معها في الحرب العالمية الثانية وهي الاتحاد السوفيتي.

ثالثاً: وفي إطار الصراع بين الكبار (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) فإن الولايات المتحدة تطرح على المنطقة حلفاً عسكرياً تحت قيادتها– وبالفعل فقد تَحَمَّس له الفرع الهاشمي في بغداد، وعليه هو الآن في عَمَّان أن يختار، وفي الواقع فلم يكن حق الاختيار الحر مطروحاً عليه، وإنما كان مطلوباً منه أن يسارع ويلتحق.

رابعاً: لكن هناك تيارات في المنطقة تقاوم المخطط الأمريكي الجديد وتخشي منه اكثر من الاستعمار البريطاني العجوز، وكان بين هذه التيارات حزب البعث العربي الاشتراكي، ثم وبطبيعة الأحوال كل الأحزاب الشيوعية التي نشطت تحت الأرض– وفوقها بقدر ما سمحت لها الظروف– في عواصم العالم العربي بدون استثناء تقريباً.

خامساً: وبالتحديد والتخصيص فقد كانت مصر في عهد المَلِك فاروق ووقت وزارة الوفد الأخيرة (1950 – 1951) تعارض هذه المخططات، وكانت المملكة العربية السعودية إلى جانب مصر، وكانت الأسباب عديدة اختلط فيها الوطني بالعائلي والشعبي بالقبلي، إلى آخره.

سادساً: وكانت إسرائيل مع فكرة هذا الحلف العسكري طالما أنه سوف يُدخِلُها بطبيعة الحال – في شراكة مع العالم العربي تفرض بالضرورة قبول أوطانه بالصلح معها على أساس الأمر الواقع– فإذا تحقق ذلك، فإن إسرائيل تثق سلفا في قدرتها أن تكون القوة الإقليمية الأولى في المنطقة بنفوذها في العالم، وبطش سلاحها، وكفاءتها في استيعاب التقدم بما فيه ثورة العلوم التي تراكمت خلال تجربة الحرب العالمية الثانية ثم انطلقت بعد انتهاء الحرب تغزو كل نواحي الحياة المدنية في عالم جديد.

سابعاً: وفجأة وفي هذا المناخ الذي تتزاحم فيه الأفكار والتيارات والسياسات والجيوش – فجأة صباح 23 يوليو 1952 في مصر قامت ثورة 23 يوليو– ثم ظهر "جمال عبد الناصر".

حَكَمَت الجغرافيا – وحَكَم التاريخ – وحَكَمَ العصر، ثم جاء الدور على التجربة الإنسانية المَلِك "حسين" لتكون الوجه الرابع للحقيقة في شأنه وفي شخصيته.

(7)

وجد المَلِك "حسين" نفسه يقترب من مجموعة من ضباط جيشه بطرد "جلوب باشا" ، ومع أن تلك كانت خطوة بالغة الخطورة فإن المَلِك قام بتامين ظهره عن طريق إخطار الكولونيل "جيمس سويني" الملحق "العسكري الأمريكي في سفارة الولايات المتحدة في عَمَّان.

ولعل "سويني" لم يحاول إثناء "المَلِك عن عزمه لأن تلك كانت لحظة انتقال الإرث الامبراطوري في المنطقة، ثم إن كثيرين تَصَوَّروا أن فرصة تغيير الحرس الإمبراطوري البريطاني القديم بحرس امريكي جديد كفيلة بأن تفتح الباب لألف فرصة وفرصة.

السفارة الأمريكية في عَمَّان – بما فيها ممثل وكالة المخابرات المركزية الامريكية – تَحَمَّست لطرد "جلوب" لأن ذلك سوف يرفع شعبية المَلِك ويجعله قادراً على دخول حلف بغداد.

ويقول المَلِك أن تيار الحوادث في المنطقة ابتداء من طرد "جلوب" (باشا) من الأردن في مارس 1956 وحتى تأميم قناة السويس في يوليو 1956 تحَوَّل إلى شلال متدفق يهدد بان يجرف أمامه كل شيء بما في ذلك كيان الأردن.

ومع بداية سنة 1957 جاء مفترق طرق بالغ الأهمية في تجربة المَلِك "حسين"، وفي التجربة السياسية العربية المعاصرة كلها.

انتهت حرب السويس في ديسمبر 1956 باضطرار بريطانيا وفرنسا إلى الانسحاب من بورسعيد، وكان ذلك الانسحاب هو الإعلان الرسمي بنهاية الإمبراطوريات القديمة (بريطانيا وفرنسا).

ثم انتقل المطلب الإمبراطوري في المنطقة إلى الولايات المتحدة التي طرحت في بداية سنة 1957 وفي مطلع مدة الرئاسة الثانية للجنرال "دوايت أيزنهاور" – مشروعا لحماية المنطقة أطلق عليه فعلا اسم "مبدأ أيزنهاور".

وكان "مبدأ أيزنهاور" في تقدير السياسة المصرية ذلك الوقت مجرد تعبئة أمريكية جديدة مزوقة لنفس مطلب السيطرة الذي اهترأ وعاؤه البريطاني القديم.

لقد استطاع أن يقاوم دخول حلف بغداد، لكنه هذه المرة يواجه ما هو أصعب، فالولايات المتحدة التي تقدمت لتمسك بمقادير الشرق الأوسط– ليست الإمبراطورية البريطانية التي غرقت في مياه قناة السويس – وإنما هي قوة أخرى تملك وسائل السيطرة العالمية.

وكان في بنود هذا المشروع كثير عن مساعدات مالية للأردن هو في حاجة إليها ولا يستطيع ببساطة أن يرفض عرضاً امريكياً سخياً بها، وقد وصل المَلِك في النهاية إلى أن مصلحة "العائلة الأردنية" تقتضيه أن يقف ضد الرأى العام في البلد، ثم هاله أن أصداء ما يجرى في الشارع الأردني وصلت إلى الجيش، وكان عليه أن يتصرف بأقصى الحزم وأقسى الإجراءات.

وكانت الدعاية المصرية ضد مشروع "أيزنهاور" زيتا صَبَّتْه إذاعة "صوت العرب" على نار مشتعلة في عَمَّان.

وفي المحصلة النهائية فإن المَلِك "حسين" قاد انقلابا ضد قوى شعبية كثيرة في بلده، وقوى وطنية معروفة في جيشه.

والمشكلة أن الانقلاب لم يكن عملية محض أردنية، وإنما كانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية طرفا فاعلا فيه بالتمويل والتخطيط والتنفيذ وبطريقة كادت تكون علنية، جرت بحضور وتخطيط "كيرميت روزفلت" مسئول المخابرات المركزية الأمريكية الشهير في الشرق الأوسط ، ثم إن عشرات ملايين الدولارات صُرِفَت في عَمَّان لتدبير الأمور! والظاهر أنه في تلك الظروف، مشي المَلِك "حسين" مع مفترق الطرق إلى الحواف الاكثر وعورة.

إن المَلِك "حسين" ظهر بعد ذلك، خلال أزمات مهمة مما عرفته المنطقة وعاشته، وبين هذه الأزمات بالتحديد أربع:

- **الأزمة الأولى: هي ازمة الانقلاب على الوحدة بين مصر وسوريا، ففي يوم وقوع ذلك الانقلاب (28 سبتمبر 1961) وُصِلَتْ إذاعة الأردن نفسها بإذاعة الانفصاليين من دمشق، وذهب المَلِك بملابسه العسكرية ومسدسه في حزامه إلى رئاسة أركان حرب الجيش الأردني مستعدا للطوارئ، وكان الحديث في رئاسة الأركان الأردنية أن "سَيِّدنا (أي الملك حسين) هو مُدَبِّر ذلك الانقلاب لطرد مصر من سوريا عقابا لها على تأييدها لانقلاب العراق (14 يوليو 1958) – الذي قُتِل فيه كل أفراد الفرع العراقي من الأسرة الهاشمية، ولما كان المَلِك "حسين" قد اعتبر الثأر لأبناء عمومته واجبا يلقيه "التاريخ الهاشمي" عليه، فقد كان مطالبا أن يتصرف" .**

والواقع إن المَلِك لم يتصرف وحده، وإنما كانت معه (كما تَظهِر الوثائق) وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (كيرميت روزفلت – شخصيا– مرة أخرى) ، وكان المُمَوِّل الرئيسي لمؤامرة الانقلاب على الوحدة، هو المَلِك "سعود" (الذي قال لي بنفسه أثناء لقاء بيننا بعد لجوئه إلى مصر في ديسمبر 1966 أنه دفع حوالي خمسة عشر مليون دولار ضمن تكاليف هذا الانقلاب.

- **وكانت الأزمة الثانية التي ظهر فيها المَلِك، هي أزمة حرب اليمن التي قامت ضد أسرة "حميد الدين" (يوم 26 سبتمبر 1962) – وكانت قوات الملكيين في اليمن قد خيمت على الحدود مع السعودية وراحت تضغط عسكريا على الثورة الوليدة في صنعاء، وتدخلت مصر لحماية الثورة، وسارع المَلِك "حسين" إلى إرسال طيرانه من عَمَّان يحمل أسلحة وذخائر إلى بقايا النظام القديم في اليمن.**

وكانت المفاجأة القاسية التي تلقاها المَلِك وأصدقاء له أن قائد الطيران الأردني (العقيد سهل حمزة) قاد سربا أردنيا إلى القاهرة بحمولات طائراته من السلاح والذخيرة مرسلة إلى الملكيين في اليمن! وأعلن تأييده لعبد الناصر والثورة اليمنية.

وحين أدرك أصحاب هذه الخطط الملكية أن استخدام قوات مسلحة عربية ضد التيار الكاسح للحركة القومية – مخاطرة غير مأمونة، فإن الجميع لجأوا إلى الاستعانة بقوى خارجية، ثم إن عملية واسعة لاستئجار مرتزقة اجانب نشطت في باريس ولندن، وكانت النتيجة أن مسرح القتال في اليمن شهد دخولا واسع النطاق لجيش (بضعة آلاف) من المرتزقة الأوروبيين من الإنجليز إلى الفرنسيين إلى الألمان، وحتى من إيطاليا وأسبانيا والبرتغال!

والملفت أن ترتيب هذه العملية آل إلى مجموعة من النواب البريطانيين كان على رأسهم "جوليان إيمرى" رئيس مجموعة المحافظين المعارضة للانسحاب البريطاني من السويس ومن العالم العربي بأسره، وكان "جوليان إيمري" شخصا يستحق التوقف – أو التوقيف– لفحص هويته:

هو – أولا– ابن اللورد "ليو إيمري" الذي كان سكرتيرا عاماً لمجلس الوزراء البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى وهو الذي كتب بخط يده مسودة "وعد بلفور" تعهداً بريطانياً بوطن قومي لليهود في فلسطين، وتكشف أن "ليو إيمري" يهودي هاجرت أسرته من أوروبا الشرقية في أواخر القرن التاسع عشر – إلى الغرب.

وكان "جوليان إيمري" – ثانياً– مرتبطا بمصاهرة رئيس الوزراء البريطاني في ذلك الوقت "هارولد ماكميلان" وبالتالي فإن "إيمري" الابن أيضا أصبح شديد القرب من مركز صنع القرار البريطاني فيما بعد العهد الإمبراطوري.

وثالثا– فإن "جوليان إيمري" كان هو الذي تولى في شهر مارس سنة 1965 ترتيب اجتماعات بين شخصيات عربية وشخصيات يهودية، وكان ضمن الاجتماعات لقاء بين المَلِك "حسين" وبين الجنرال "موشي ديان" وقد تم هذا اللقاء في بيت "جوليان إيمري" نفسه في "إيتون سكوير" –لندن–.

وقد روى لي "إيمري" "أن المَلِك حسين قدم نفسه متحدثاً باسم آخرين معه في المنطقة يشاركونه أهدافه لكنهم لا يملكون جرأته"، وقال لي "إيمري": "إن هدف الاجتماع كان تنسيق جهود أعداء عبد الناصر العرب مع إسرائيل"، وقال مُعَقِّباً : "إن أطرافا كثيرين في العالم العربي كانوا على استعداد للتعامل مع الشيطان ضد ناصر".

وأخيراً– ولم يكن آخرا– تجئ الازمة الثالثة التي ظهرت فيها ظل المَلِك "حسين" وصورته، وهي الدور الذي قام به في سنة 1967:

1- أنه عندما بدأت أزمة الحشود الإسرائيلية ضد سوريا تتفاعل مع موجبات تأهب مصرى لنجدتها، وصلت المشاعر في العالم العربي إلى درجة غير مسبوقة من التعبئة، ثم ولت التعبئة إلى الذروة الخطرة عندما أغلقت مصر خليج "العقبة" أمام الملاحة الإسرائيلية، وكان ذلك نذيرا بان الحرب مسألة أيام – وفجأة يوم الثلاثاء 30 مايو وصل المَلِك "حسين" إلى القاهرة يطلب اجتماعا مع جمال عبد الناصر" قائلاً: "إن الشعب الأردني لن يسمح له بان يظل بعيدا عن المعركة رغم أي خلافات سبقت، ثم إنه هو نفسه – مع شعب الأردن- لا يستطيع أن يقف متفرجاً في معركة عربية مقدسة!

ومع أن التغيير المفاجئ في موقف المَلِك "حسين" أثار تساؤلا – فقد نسبه الجميع إلى إحساس المَلِك بضغط الرأي العام في بلده إلى جانب تَوَصُّله أكيدا إلى أن العرش الأردني نفسه سوف يكون في مهب الريح إذا قامت الحرب وبقي الجيش الأردني بعيداً.

2- وكان داعي التساؤل مرة ثانية – أن المَلِك طلب تعيين قائد مصري للقوات الأردنية في المعركة القادمة، بل واختار بنفسه واحدا من ألمع الضباط المصريين وهو الفريق "عبد المنعم رياض" . ثم أصر المَلِك "حسين" على أن ياخذ "عبد المنعم رياض" معه في الطائرة ليتولى قيادة الجيش الأردني من أول لحظة، وكان السفر إلى عَمَّان مساء 31 مايو 1967.

3- إن المَلِك "حسين" أثناء اجتماعاته في القاهرة مع "جمال عبد الناصر" تَطَوَّع بالسماح للجيش العراقي بدخول الأردن للمشاركة في المعركة ، والجميع يعرف أن دخول قوات عراقية إلى الأردن واحد من النذر التي تعتبرها إسرائيل مبررا لشن الحرب، وبدا ذلك مستدعيا لتساؤل ثالث – لكن أحدا لم يدقق.

ثم إن المَلِك "حسين" اجتمع أيضاً في القاهرة – وفي حضور "جمال عبد الناصر"- بالسيد "أحمد الشقيري" رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وأخذه – مع الفريق "عبد المنعم رياض" – في طائرته إلى عَمَّان. وكان ظهور رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في عَمَّان بدوره نذيراً آخر مما تعتبره إسرائيل مبررا لشن الحرب – والمَلِك "حسين" أول من يعرف ذلك. ومع أن تصرفه في هذا الامر أثار هو الآخر تساؤلاً رابعاً.. وخامساً وسادساً، إلى آخره – فإن أحدا- رغم تكرار التساؤلات- لم يتوقف ليدقق لأن الكل كان مشغولا بالاحتمالات القادمة.

4- وذهب الفريق "عبد المنعم رياض" إلى عَمَّان، وعاد منها بعد انتهاء القتال وهو يحمل هواجس وهموما ضاغطة على أعصابه.

فهو من البداية – رغم لقاءات متكررة بالمَلِك "حسين" وعدد من قيادات الجيش الأردني جرت في إطار القيادة المشتركة – لم يكن مستريحاً لفكرة أن يجد نفسه على رأس قوات لم يعرفها ولم تعرفه – وأن يكون ذلك في ظروف حرب.

ولقد راوده على نحو ما إحساس بأن صلته بالقوات في الميدان ليست سالكة، ولقد أحس أن بعض ما يُعرض عليه من المواقف التي تتطلب قراره، يحمل دواعي الشك في دقته، وطبقا لتعبيره فقد أحس أنها كانت "Hollow" (مُجّوفَّة – فارغة من الداخل) – ثم تَحَوَّلَت هواجسه وهمومه إلى شكوك مُعَذِّبة حين عرف من مصادر خاصة – وقبل أن يغادر عّمَّان عائدا إلى القاهرة – أن خسائر الجيش الأردني في الدفاع عن الضفة الغربية بما فيها القدس لم تزد على 16 شهيداً– وبدا ذلك له مذهلا على ضوء ما كان يتلقاه من التقارير عن سير العمليات بواسطة ضباط الاتصال الذين ألحقوا بقيادته.

وفيما بعد ظهرت وثائق تتماشى في أقل تقدير مع هواجس وهموم "عبد المنعم رياض" وقد أتيح لـ"عبد المنعم رياض" أن يرى واحدة منها، لكنه استُشهد قبل أن يرى بقيتها أو يعرف شيئاً عنها.

وكانت الوثيقة الواحدة التي عَرَف بها تقريراً من المخابرات العسكرية الامريكية حصل عليه مندوب مخابرات مصري في نيويورك، وكان حصوله عليه في ظروف لا تحتمل الشك في صحة ما حصل عليه، وكان نصها: "علمت أن مقابلة جرت بين رئيس الأركان الأردني الجنرال "خماش" وبين السفير الأمريكي في الأردن يوم الخميس أول يونيو 1967، وفي هذه المقابلة طلب رئيس الأركان الأردني من السفير الأمريكي سرعة نقل الطائرات المقاتلة "ف 104" من الأردن وعددها 25 طائرة – وذلك بصفة مؤقتة حتى تنتهي الأزمة بين الدول العربية وإسرائيل.

وكان "عبد المنعم رياض" يستيطع أن يفهم معنى هذه البرقية أكثر من غيره، فقد تذكر وكتب في تقريره عن مهمته في الأردن "أن الطائرات من طراز "ف 104" لم يظهر لها أثر رغم تكرار سؤاله عنها".

وكذلك عرف القائد المصري المنتدب لقيادة القوات الأردنية على الجبهة أن الطيران الذي كان مفروضاً أن يخدم خطته خرج من الأردن قبل الساعة التي تسلم فيها مسئوليته!

ولم يتح لـ"عبد المنعم رياض" أن يعيش ويطلع على وثائق أخرى إضافية لديها ما تقوله وبينه:

- **أن المَلِك "حسين" قابل ضباطا إسرائيليين على مستوى عال في الأردن يوم 26 مايو 1967 وأنهم أبلغوه بشكل ما هو قادم دون تفاصيل، وتركوا له مسئولية اختيار موقفه مع تحذيرات له بألا يتدخل فيها.**
- **وفي ذلك الاجتماع مع قادة إسرائيليين فإن المَلِك "حسين" أبدى أنه لا يستطيع في حالة نشوب عمليات أن يقف موقف المتفرج لأن ضغط الشعب الأردني عليه يمكن أن يطيح بالنظام، وأنه من الضروري لسلامته أن يُسمَح له بهامش مناورة يُمَكِّنه من مقاومة الضغوط.**

وكان الرئيس الأمريكي "ليندون جونسون" (وهو المهندس الأكبر لعملية 1967) على استعداد لتقدير موقف المَلِك، لكن الحكومة الإسرائيلية أبلغته (الرئيس جونسون) أنها تستطيع أن تتفهم وإنما إلى حد.

- **إن إسرائيل في الصباح الباكر من يوم 5 يونيو بعثت برسالة من رئيس الوزراء "ليفي أشكول" حملها كبير مراقبي الهدنة الجنرال "أد بول" طلبت فيها إلى المَلِك "حسين" أن يبقى بعيداً، وإذا أراد تغطية موقفه فلابد ان يفعل ذلك بحذر.**

وبالفعل فقد سُمِح للجيش الأردني بحرية إطلاق نيران محدودة وبدون رد عليها. وفي الساعة الحادية عشرة والنصف صباح يوم 5 يونيو، وبعد أن تأكد أن الضربة الجوية ضد مصر نجحت، طلب الجنرال "أوزي ناركيس" القائد الإسرائيلي لقوات الجبهة الشرقية إذناً ببدء هجوم على الأردن، وقد رُفِض طلبه مرة ثانية، ثم رُفِض طلبه مرة ثالثة في الساعة الثانية عشر والنصف. وبعد ساعتين تماما أي في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر تلقى الجنرال "ناركيس" أمراً بالهجوم الشامل لاحتلال الضفة الغربية بما فيها القدس (كان إغراء حلم أرض إسرائيل أكبر من أن يقاوم، وإذا أراد الملك أن يناور مرة فإن إسرائيل لها نفس الحق في مناورة العمر).

- **أخيراً –أخيرا– جاءت الأزمة الرابعة التي ظهر فيها ظل المَلِك وصورته، وقد أعلنتها هيئة الإذاعة البريطانية في برنامج قدمته أواخر سنة 1998 في مناسبة مرور خمسين سنة من حياة الشرق الأوسط شهدت ظهور قوة إسرائيل – وكان مؤدي ما أعلنته الإذاعة البريطانية مؤكدا وموثقاً أن المَلِك "حسين" ذهب – يوم 25 سبتمبر 1973– إلى مقابلة سرية مع رئيسة وزراء إسرائيل (قبل أيام من 6 أكتوبر 1973) وحذر**

"جولدا مائير" من أن مصر وسوريا تدبران لشن معركة مفاجئة ضد القوات الإسرائيلية في سيناء والجولان، وأن "جولدا مائير" لم تأخذ هذا التحذير جَدَّاً.

والمزعج أن هذه الواقعة لم تكن شراً، فقد نشرها الجنرال "إيلي زائيرا" رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية في مذكراته عن حرب سنة 1973 وقد ظهرت في كتاب باللغة العبرية وحدها، وجاءت الواقعة الخاصة بالمَلِك "حسين" مع كل تفصيلات اللقاء في صفحة 95 من المذكرات.

(ثم ألحق بها ما أذيع نفس الفترة – عن تعيين "أبراهام هالفي" رئيساً للموساد، وقيل – رسمياً– أن مبررات تفضيله على غيره أنه كان لثلاثين سنة صلة وصل خاصة مع المَلِك "حسين" ، وأن لقاءات بينهما كانت منتظمة كل أسبوع للتنسيق السياسي والأمني!).

كانت تلك كلها ظلالا وصُوراً – ثم طرأ جديد!

(8)

كان الجديد الذي طرأ وحَوَّل الظلال والصور إلى جسد وحياة هو أن "بن برادلي" رئيس تحرير جريدة "الواشنطن بوست" نشر مذكراته تحت عنوان "حياة جيدة" (A Good Life).

و"بن برادلي" ليس صحفيا عاديا في الولايات المتحدة الأمريكية، وإنما واحد من أكبر نجوم المهنة في الخمسين سنة الأخيرة، فقد كان هو على صفحات "الواشنطن بوست" قائد الحملة على الرئيس "ريتشارد نيكسون" في فضيحة "ووترجيت" ، وكانت هذه الحملة هي التي اضطرت أقوى رجل في العالم وفي التاريخ إلى ترك منصبه في البيت الأبيض والهرب إلى ظلال النسيان.

وقال "بن برادلي" في كتابه (ونَشرَ في تدعيم كلامه ما هو أكثر من مجرد رواية) – وابتداءً من صفحة 424 ما يلي بالحرف:

"ذات صباح في نوفمبر 1976 جاءني "بوب وودوارد" (أحد أشهر الصحفيين في الواشنطن بوست وقتها) وقال لى إنه "عرف من مصادره أن أحد رؤساء الدول في الشرق الأوسط موجود باسمه على قائمة المرتبات في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية"، وقلت له "أن هذه قصة إخبارية مهمة، لكن عليه أن يتقصاها أكثر".

ويمضي "برادلي" في روايته فيقول: "إنه سأل وودوارد عن رئيس الدولة المعنى لأنه لن يستغرب إذا كان هناك أكثر من رئيس دولة واحد في الشرق الأوسط موجود على قائمة مدفوعات وكالة المخابرات المركزية"!

ويستطرد "برادلي":

"بعد يومين جاءني بوب يقول لي: "إنه تأكد أن المَلِك حسين مَلِك الأردن هو رئيس الدولة المعنى وأنه يتقاضى مكافأة سنوية (شخصية لا علاقة لها بالمعونات الرسمية للأردن) مقدارها مليون دولار، وهي مرصودة لمصاريف المَلِك الخاصة، وقد بدأ دفعها له من سنة 1957 ولا تزال مستمرة حتى الآن".

ويقول "برادلي":

"إنني طلبت من بوب أن يؤكد معلوماته بمصدر ثان لأننا لا نستطيع في الواشنطن بوست أن نعتمد على مصدر واحد في قصة بهذه الدرجة من الحساسية، وبالفعل فإن بوب اتصل بـ"جودى باول" المستشار الصحفي للرئيس الأمريكي الجديد (في ذلك الوقت) وهو "جيمي كارتر" وروى له ما وصل إلى علمه، وطلب تأكيدا أو نفياً".

وفي اليوم التالي – الصباح الباكر– اتصل "بوب وودوارد" برئيس تحريره "بن برادلي" ليقول له طبقا لرواية هذا الأخير (صفحة 425 من مذكراته): "إن زبجنيو برجينسكي مستشار الأمن القومي للرئيس الجديد اتصل به ودعاه هو ورئيس تحريره إلى لقاء مع الرئيس في المكتب البيضاوي في البيت الأبيض" – وذهب الاثنان بالفعل إلى لقاء مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

ويقول "بن برادلي" بالحرف:

"إن الرئيس قال لنا بداية إن الخبر صحيح!، ثم أبدى لنا دهشته من أن وزير الخارجية السابق (هنري كيسنجر) حين جاء إليه يضعه في صورة الحوادث والرجال في الشرق الأوسط مع بداية رئاسته لم يذكر له شيئاً عن هذه الحكاية – ولا ذكرها له "جورج بوش" (رئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في ذلك الوقت) عندما التقاه أيضا لنفس الغرض (كلاهما تعامل بها كأمر عادي روتيني)!

ثم استطرد الرئيس "كارتر" فقال: "إنه يريد ان يقول لنا شيئين: الأول أن نشر الواقعة يضر الامن القومي للولايات المتحدة – والثاني أنه أصدر امرا بإيقاف دفع المبلغ للمَلِك حسين". (وظنه أن المَلِك لم يعد يحتاجه لأنه الآن واحد من أكبر أغنياء المنطقة).

ويقول "بن برادلي" إن الرئيس قال له في نهاية المقابلة: "إنه لا يستطيع أن يتدخل في الطريقة التي يدير بها (بن برادلي) صحيفته – لكنه وضع الحقائق أمامه ويترك له التقدير النهائي، فهذه مصالح بلدك كما هي مصالح بلدي".

ويقول "بن برادلي" (صفحة 426) "إنه بعد اجتماع للتشاور مع هيئة تحرير الواشنطن بوست قرروا أن مهمتهم هي نشر الحقيقة، وبالفعل نشروها".

ثم يقول "بن برادلي" أخيراً: "في اليوم الذي نشرنا فيه القصة تلقيت خطابا على ورق البيت الأبيض وبتوقيع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية نصه كما يلي بالحرف:

إلى "بن برادلي"

أعتقد أن نشركم لقصة المخابرات المركزية الأمريكية بينما وزير الخارجية (سيروس فانس) يقوم بمهمة في الشرق الأوسط الآن – وهذه المهمة على وشك أن تحمله إلى الأردن – هو عمل غير مسئول. إنني أكتب إليك هذه الرسالة كتعليق من قارئ وليس من رئيس الولايات المتحدة.

جيمي كارتر

*** * * ***

وهكذا فإن أمامنا الآن – صريحا وموقفا– ما يؤكد أنه على طول الفترة من سنة 1957 إلى سنة 1977 كان اسم المَلِك "حسين" على قائمة المرتبات السرية في وكالة المخابرات المركزية الامريكية.

وكانت تلك هي السنوات التي شهدت انقلاب الأردن سنة 1957 – وانفصال الوحدة المصرية السورية سنة 1961– والحرب في اليمن سنة 1962– والنكسة سنة 1967– ثم حرب أكتوبر 1973.

والرجل الذي يقدم شهادته هنا هو رئيس الولايات المتحدة نفسه ذلك الوقت وهو "جيمي كارتر"، ومن المفارقات أنه كان واحدا من موكب الرؤساء السابقين الذين صاحبوا الرئيس "بيل كلينتون" في الوقوف أمام جثمان المَلِك "حسين"!

*** * * ***

إن الرؤساء الأمريكيين الأربعة (رئيس حالي هو كلينتون، وثلاثة سابقون هم "بوش" و"كارتر" و"فورد" كانوا بين جميع الأدوار في النص الجنائزي – الأقرب إلى وضوح المشاعر أمام جثمان المَلِك "حسين" لأنهم كانوا الأقرب إلى جوهر الحقيقة الوافية الشافية من أي شك!

بعدهم في قائمة وضوح المشاعر كان قادة إسرائيل الذين لم يتخلف منهم واحد عن الوقوف بالصلاة أمام الجثمان، وقد مشوا جميعاً صفا متصلا رغم أنهم على الضفة الأخرى من النهر منهمكون في معارك تقارب الحرب الأهلية.

فماذا كان هدف الوقوف بالخشوع من جانب الرؤساء الأمريكيين – الأربعة– والقادة الإسرائيليين – بالعشرات– أمام جثمان مَلِك عربي له بالتأكيد مزايا – لكنه الآن بين يدي ربه وحيث لا تستطيع مزاياه أن تساعد أصدقاءه في هذه الدنيا؟

- **ولا يصلح للإجابة عن هذا السؤال أن يقال إن الخاشعين أمام الجثمان كانوا خائفين على أمن الأردن وبقائه بعد رحيل المَلِك – ذلك ان الكل يعرف أن الأردن ليس مُعَرَّضا لخطر لأن معادلة أمنه مضمونة إقليميا ودوليا، لأسباب تتخطى حدود الأردن، وتصل إلى إستراتيجية الحفاظ على توازن ما بين البحر الأبيض إلى الخليج وما بين البحر الأحمر إلى البحر الأسود.**
- **وكذلك لا يصلح للإجابة أن يقال إن أصدقاء الأردن هرعوا إلى عاصمته ليتلقوا درساً في شرعية انتقال السلطة من جيل إلى جيل، سلميا وديمقراطيا، لأن هؤلاء جميعاً كان لهم قول في انتقال السلطة!**

وإذن ما هي الإجابة الصحيحة على هذا السؤال الدقيق إذا كان ما سبق ليس صالحا؟ لقد أشرت في بداية هذا الحديث إلى نصوص سبقت ذلك النص الجنائزي الأخير في تشييع المَلِك "حسين".

وأضيف – وهذا الحديث يوشك على بلوغ نهايته– أن هناك فيما يبدو مطالب أخرى– غير ما ورد ذكره من قبل– وكلها مطالب تبحث عن فرصة وراء جلال الموت ووراء زحام الجنازات، وبينها على الأرجح:

1. **أن الولايات المتحدة وإسرائيل – وربما غيرهما – بكل هذا الذي حدث في جنازة المَلِك "حسين" قصدوا أن يقولوا لكل من يعنيه الأمر في المنطقة أن في يدهم وحدهم – وبوسائلهم وليس وسائل غيرهم – الحق والقدرة على تدشين الأبطال وترسيم القِدِّيسين في منطقة الشرق الأوسط، وتلك قضية لابد أن تُؤخَذ باهتمام وأن تُدرَس بجد لان المعنى الكامن فيها – سلطان!.**
2. **إن جميع الأطراف عليهم أن يفهموا – عن طريق الحدس إذا لم يقدروا عن طريق العِلْم– أن الأردن طرف في ترتيب إقليمي يضم أربع دول هي الولايات المتحدة وإسرائيل وتركيا والأردن، وهذا الترتيب هو المدير المقيم للأمن في المنطقة، وكل من عداهم مساعد أو مشارك وفق مواقع الأزمات! ولذلك فإن دور المَلِك "حسين" في هذا الترتيب كان اهم الأدوار العربية.**

(يستحق التسجيل هنا أن "إيتان هابر" مدير مكتب رئيس وزراء إسرائيل الأسبق "إسحاق رابين" سئل في برنامج تلفزيوني إخباري (عنوانه "بوليتيكا") أذيع غداة تشييع جنازة الملك "حسين"، عن "السبب الذي جعل كل قيادات إسرائيل تسعى على هذا النحو إلى المشاركة في جنازة الملك حسين؟".

كان السائل هو زعيم حزب "موليدت" وكان رد مدير مكتب "رابين" على الهواء هو قوله بالحرف: "لو عرفت ما فعله المَلِك من أجل أمن إسرائيل لما سعيت وراء جنازته فقط وإنما هرولت"!).

3. إن هناك دورا في المنطقة لخليفة يتبع خطى المَلِك – وليس بالضرورة أن يكون ولي عهده – فالمَلِك الجديد في الأردن شباب، ومازال أمامه الكثير يتعلمه رغم كل ما تعلم من والده (ومن سوء الحظ أن "جولدي دور" سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة وقف أمام عدسات الـ C.N.N يوم جنازة المَلِك "حسين" ليقول: "إن أول درس عَلَّمه المَلِك لأولاده هو أهمية العلاقة الحميمة مع إسرائيل".
4. وحتى إذا استطاع أحد أن يملأ الفراغ الذي تركه المَلِك حسين"، فقد كان للأردن – كما هو الآن ودون حاجة إلى تجربة- دور يمكنه القيام به إذا وجد العهد الجديد فيه جرأة الخيال وجسارة القبول بالمخاطرة. وهذه محطة على مسار هذا الحديث تستحق التوقف عندها!:

محطة تستحق الوقوف عندها لأن بعض الطريق وراءها – إذا صدقت معلومات أولية مازلت تحتاج إلى تأكيد – سوف يصل بآثاره في مستقبل المنطقة إلى بعيد على خرائط الجغرافيا وخرائط التاريخ وخرائط السياسة فيها – ليرسم عليها ألواناً وخطوطاً وعلامات مستجدة.

وطبقا لمعلومات أولية فإن هناك "سيناريو" تجري كتابته الآن لمستقبل الشرق الأوسط في مطالع القرن الواحد والعشرين، وهذا "السيناريو" نوقش (مرة أخرى) في واشنطن ولندن في الأسابيع الأخيرة من حياة المَلِك "حسين"، وبالتحديد في الفترة التي خرج فيها المَلِك من مستشفى "مايو كلينيك" في شهر ديسمبر 1998 وقضى اكثر من أسبوعين بين واشنطن ولندن – والكل- بما فيهم هو نفسه- عارف أنه المشهد الأخير قبل نزول الستار!

إن السيناريو –كما أسلفت- جرت مناقشته- لكن غير الواضح هو ما إذا كان اعْتُمِد أو تأجل اعتماده بعد المناقشة – ذلك أن المَلِك رغم حماسته كانت لديه تحفظات على بنيان "السيناريو" وعلى سياقه.

كان "السيناريو" الذي نوقش –ولا يزال- في واشنطن ولندن على النحو التالي:

1. إن الأردن – في الغالب- قد لا يكون له دور إضافي فيما يسمى بعملية سلام الشرق الأوسط، وذلك سوف يخلق فيه ومن حوله فراغات يمكن أن تكون لها مخاطر.
2. إن بؤرة التوتر في الشرق الأوسط التي انتقلت سابقاً من شواطئ البحر الأبيض والبحر الأحمر إلى الخليج – تنتقل الآن من الخليج إلى ما فوقه، أي إلى حدود الاتحاد السوفيتي السابق، وبحيث تشمل منطقة التوتر الكبير القادم مستقبل العراق (وإيران؟) – ومناطق الأكراد

(وتركيا؟) – وأفغانستان (وممتدة منها إلى كازاخستان وعبر القوقاز وحتى إلى كوسوفو على أطراف البلقان).

3. إن الاستعداد للتفاعلات المحتملة والمتفجرة لبؤرة التوتر الجديدة يقتضي الخلاص من النظام الحالي في العراق (صدام حسين)، وهذا النظام حتى هذه اللحظة لا يريد أن يذهب – ومع أنه منهك بالحصار الاقتصادي الخانق وبالعمليات العسكرية من "عاصفة الصحراء" إلى "ثعلب الصحراء"، ثم بالغارات الجوية المستمرة إلى الآن – فإن هدف إسقاطه لم يتحقق بعد. والحل الذي يراه معظم الخبراء أنه لابد من وجود قوة عسكرية قريبة على الأرض قادرة على التدخل بشكل ما في لحظة تتهيأ فيها الأجواء بحدث داخلي يتصادف وقوعه أو يمكن ترتيبه!
4. وليس هناك من لديه في المنطقة مثل هذه القوة العسكرية القادرة على التدخل للحسم في العراق إلا الأردن، ذلك أن دول الخليج المعنية قبل غيرها بالتغيير في بغداد لا تملك قوة تقدر على العمل في ميدان قتال حقيقي.

وكان هذا الخيار معروضا على المَلِك "حسين" وكان فيه ما يلبي أحلاما قديمة لديه (سواء من طموحه الشخصي أو من اعتقاد أنه الوريث الشرعي للهاشميين في بغداد)، لكن المَلِك وإن تحمس أحيانا تردد في اللحظات الحرجة شكاً في أوضاع الإقليم المحيط به وقلقا من نوايا بعض الحكام القريبين من حدوده.

5. وكان بين بنود "السيناريو" المقترح تَصَوُّر يرى بإضفاء الشرعية والطمأنينة على أي دور أردني في هذا السيناريو عن طريق دعوة الأردن للانضمام إلى مجلس التعاون الخليجي – خصوصا وقد تَكفَّلت الأقدار بشكوك لدى "بعض الشيوخ" في موقف المَلِك "حسين" أثناء غزو الكويت – والأمل أن يقوم خلفٌ له في عهد جديد بما هو مطلوب ضمن شرعية خليجية توفر له في نفس الوقت مطالبه المادية والسياسية والمعنوية (بما في ذلك مخزون معدات عسكرية مكدَّسة تبحث عمن يستعملها) – إن المَلِك "حسين" لم يكن قادرا على التأقلم مع مثل هذا التصور، وكان بين تحفظاته أنه يريد أن يعرف بالتحديد ما يحق للأردن أن يتوقعه في ختام هذا "السيناريو" (وإذا كان يستطيع ضمان عرش العراق لواحد من أبنائه) – علماً بأن إسرائيل كانت على استعداد لإعطاء ضوء أخضر لهذه الفكرة (باحتمال أنها تستطيع تهجير مئات ألوف من الفلسطينيين إلى شمال العراق).

إن الذين فكروا وناقشوا في واشنطن ولندن كانوا يعرفون طبيعة المَلِك "حسين"، وقد خبروا ما اعتبروه ترددا وبالذات في موضوع السلام مع إسرائيل، فقد تصوروه مقبلا على صلح منفرد معها – بحقائق الأشياء – بعد سنة 1967، وبعد سنة 1973، وبعد "كامب ديفيد" لكن المَلِك لم يرض بمجاراة تصوراتهم

رغم علاقته الوثيقة دون اتفاقات صلح مع إسرائيل– لأنه لم يكن يريد أن يكون السابق علانية ، ولا الثاني – كان يريد لمقتضيات سلامته أن يكون الثالث أو حتى الرابع إذا استطاع.

لكن البعض في واشنطن ولندن يرون الآن ظروفا متغيرة، وإمكانيات متاحة، وأهدافا جاء وقت تحقيقها خصوصا أن مطلب الصلح بين العرب وإسرائيل يمكن اعتباره الآن عصفوراً في اليد وليس بين العصافير على الشجرة!

هكذا فإن دور الرؤساء الامريكيين الأربعة في النص الجنائزي لتشييع المَلِك "حسين" لم تكن له علاقة بالماضي أو التاريخ، ومع أن هذا النص الجديد تشابه مع نَصَّين سابقين فإنه في هذه المرة الثالثة تخطى وتجاوز رغم كل ما قالت به الصور.

وكان يقال في وقت من الأوقات أن الصور لا تكذب، ولكن الأزمنة الجديدة أثبتت أن الصور (خصوصا في الشرق الأوسط!) يمكن أن تكون أكبر محترف للكذب في التاريخ، ويكفي أن يتذكر أحد صورة الملك "حسين" في ذهابه إلى الأردن – حيا آخر مرة– وهو يطل على مستقبليه من مقعد قائد الطائرة وكأنه كان يقودها عبر الاجواء من لندن إلى عمَّان ، بينما هو يعرف أن أيامه معدودة وأنه وداعه الأخير لعاصمة مُلكِه!

وربما أن خداع الصور تفوق على نفسه عندما تجري المقارنة بين صور تفصل بينها ساعات قليلة، صور للمَلِك يُصَلي على أرض مطار عمان شكرا على أن الله شفاه – ثم صور تالية لها تظهر فيها رسالة المَلِك إلى شقيقه الأمير "حسن"، فإذا الصور لرجل مختلف لم يَعُد ليقيم صَلاته على أرض وطنه، وإنما عاد –وربما كانت لديه أعذاره فهو الأدرى– ليُصفى حساباته مع شقيق له – بألفاظ مثل الهمز واللمز، واغتياب الزوجات والأبناء، والغدر بالاحباب والأصدقاء، والحنث بالوعود والعهود، واللعب غير المسئول بالأمن والسلاح. وكانت الساعات بين أداء الصلوات شكرا وتصفية الحسابات مع الشقيق علناً مأساة إغريقية تؤكد لمن يهمه الدرس أن الحضارة والتكنولوجيا لم تتركا في العالم الثالث إلا خدوشا على السطح، وأما تحت السطح فمعظمه لا يزال حيث كان قبل قرون من الزمان في مشاهد القتل والاقتتال والنحو والانتحار في ملاحم الإلياذة وفواجعها الدامية!

(9)

عندما كتبت عن "شخصية الملك حسين" فقد حاولت تطبيق هذا المنهج الذي أعتقد فيه عندما يفكر بشر في بشر، وحين يقوم إنسان بالنظر إلى إنسان.

وأحسب أنني أعطيت للملك "حسين" ما له حين توقفت طويلا امام أحكام الجغرافيا والتاريخ وقد أحاطت به إلى درجة الحصار.

وتوقفت طويلا أمام غير ذلك من اعتبارات حكمت خياراته، ومنها طبائع الهاشميين الجدد في القرن العشرين وصداقاتهم ، ومنها أن المملكة الأردنية الهاشمية تقع على تماسٍ مباشرٍ مع خط الانفلاق البركاني الحرج أمام إسرائيل، وذلك موقع وموضع له محاذيره وله مخاطره.

وفي نفس الوقت فقد ذكرت ما على المَلِك "حسين" وتوقفت امام مشاهد ذهب فيها سواء بتصوراته أو بطموحاته إلى أبعد مما فرضته عليه الظروف، فقد ألقى عليها كل حساباته امام الناس وأمام نفسه تفسيراً وتبريراً، ومضى في ذلك متجاوزاً خطوطاً حمراء كانت شبه مقدسة.

ومن المفارقات أنه بعد نشر مقالي عن "شخصية الملك الحسين" ظهرت شهادات أصلية محققة وموثقة آثر البعض إغفالها والسكوت عنها، وكان الصمت هنا نوعاً من الاستهانة أو الإهانة للعقل وللوعي!

وهنا أشير إلى شهادتين كلتاهما محققة وموثقة، وكل شهادة منهما فيها أكثر مما قلت.. وأخطر!

الشهادة الأولى من "بوب وودوارد" نفسه، وقد نشرها في أحدث كتبه –بعد شهور من وفاة المَلِك "حسين" – وعنوانه "الظِل" Shadow، الذي صدر في مايو سنة 1999 –.

وعلى صفحات كتاب "الظِل" ومن الصفحة 44 وحتى الصفحة 52 عرض "بوب وودوارد" تفاصيل واقعة علاقة المَلِك "حسين" بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية– كما يلي:

"في شهر فبراير سنة 1977 وبعد أسابيع قليلة من أداء "جيمي كارتر" لليمين الدستورية – رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية – علمت من مصدر واسع الاطلاع في وكالة المخابرات المركزية أن هناك دفعات مالية كبيرة– مليون دولار سنوياً– تُدفَع للمَلِك حسين من وكالة المخابرات إلى جانب تكاليف أخرى".

(تتصل بحياة المَلِك الشخصية، ولم أجد داعياً ولا نفعاً في ترجمة فقراتها لأن التفاصيل السياسية وحدها شاغلى هنا).

ويستطرد "وودوارد":

"كانت القصة الصحفية فيما رأيته كبيرة، فهذه هي المرة الأولى التي تواجه فيها الإدارة الجديدة (إدارة جيمي كارتر) فضيحة سياسية مبكرة تعترض تعهداتها الباكرة والمتكررة عن إدارة منفتحة وبغير أكاذيب (وبالذات بعد التجربة المرة لفضيحة ووترجيت).

واتصلت بالبيت الأبيض، ولدهشتي الكبيرة فإن الرئيس كارتر وافق على أن يقابل بن برادلي رئيس تحرير الواشنطن بوست وأنا بوفقته يوم الأربعاء 16 فبراير (1977) في مكتبه بالبيت الأبيض.

وعند باب المكتب وَجَدْنا الرئيس "كارتر" واقفاً في انتاظرنا مُرتَدياً حُلَة رمادية مخططة بخطوط بيضاء عريضة، وكان يبتسم، وبدا سعيداً بهذا اليوم الثامن والعشرين من رئاسته.

وشرح له بن برادلي رغبتنا في نشر القصة الخاصة بالمَلِك حسين، واستمع إلينا كارتر بصبر وبرقة، كما لو أنه في مواجهة ناخبين يهمه الحصول على أصواتهم.

واستأنف كارتر حديثه بصوت رين واضح العبارة، فقال: "إن هذا الأمر كان يحدث طوال العشرين سنة الماضية، أقصد مدفوعات وكالة المخابرات المركزية للمَلِك حسين، وأريد أن أقول لكم أن مثل هذه الأشياء تتعارض مع سياساتي، ولكني لا أستطيع أن ألغى ما حدث في الماضي حتى ولو كانت غير مسئول عنه".

ويستطرد "بوب وودوارد" في روايته فيقول إنه: "عندما سمع ذلك من رئيس الولايات المتحدة قال لنفسه إن رئيس الولايات المتحدة ينفض يده من المَلِك حسين".

وكان كارتر ما زال يتحدث موجهاً كلامه إلى رئيس تحرير الواشنطن بوست وإلى: "لكنى أريدكم أن تعرفوا أن هناك عنصراً هاماً في هذا الموضوع لابد من أخذه في الاعتبار، فالمَلِك حسين حاكم عربي معتدل، وهو المفتاح لتسوية سلمية في الشرق الأوسط، وأنا أحتاج إلى حسين، لأن أول أهداف سياساتي الخارجية هو سلام في الشرق الأوسط.

إن هذه العملية (المدفوعات السنوية للمَلِك حسين من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) بدأت سنة 1957 وكانت أكبر من ذلك بكثير في ذلك الوقت، والحقيقة أن الوكالة دفعت للمَلِك أيضاً مبالغ إضافية خصوصاً لحراسته وحراسة أسرته لأن وكالة المخابرات المركزية لم تكن تريد أن تكون مسئولة مباشرة عن سلامة الجميع، فقد يقتضى الأمر إطلاق النار على فلسطيني يحاول إصابة أو خطف أحد أفراد الأسرة، ونحن لا نريد أن يكون احد من رجالنا مسئولاً عن مثل ذلك إذا وقع".

ثم مضى الرئيس بعد ذلك فقال لنا: "على أن ما يهمكم أن تعرفوه هو أننى فور تأكدي من الواقعة عندما عَرَفْتُ بسؤالكم عنها أصدرت الأمر بوقف الدفع فوراً، وذلك ما أريد أن أعيد تأكيده مرة أخرى".

وتوجه بن برادلي بسؤال إلى الرئيس صاغه بطريقة مهذبة، قائلاً: ولكن يا سيدي الرئيس ألا يمكن اعتبار هذه المدفوعات رشوة"؟ ورَدَّ كارتر: لا أستطيع أن أناقض ذلك". ثم أضاف: "لكني أريدكم أن تعرفوا أن وزير الخارجية سايروس فانس سوف يصل إلى عمان في ظرف يومين للعمل على دفع مسيرة السلام في الشرق الأوسط، وإذا قامت الواشنطن بوست بنشر هذه القصة فإن أصداءها سوف تغطى على كل شيء قبل لقاء فانس من المَلِك حسين، وأنا لا أريد ذلك".

ويستطرد بوب وودوارد فيقول: "إنني سألت الرئيس عما إذا كان سعيداً بما رآه من تصرفات وكالة المخابرات المركزية"؟ – ورَدَّ الرئيس بقوله: "إنني أوقفت تصرفات أخرى مماثلة". وحين سألناه عنها رفض أن يجيب، ولكنه عاد يؤكد لنا "أنه يحاول بناء علاقات مباشرة مع عدد من زعماء الشرق الأوسط، ومع أنه لم يقابل المَلِك حسين بعد فإن نشر أسرار علاقات المَلِك بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية في الشهر الأول من رئاسته الجديدة (رئاسة كارتر) – سوف يكون عملاً مؤذياً وسوف يقُنع رؤساء دول آخرين بعدم الثقة في الولايات المتحدة، لان بعضهم سوف يظن أننا قصدنا تسريب هذه الأخبار عنهم لسبب أو لآخر، ونحن نريد منهم أن يثقوا فينا لأن سنة 1977 لابد أن تشهد تقدماً نحو السلام وإلا فإن الأمور سوف تزداد تعقيداً".

ويستطرد بوب وودوارد:

"وفي نفس اليوم بعد الظهر طلب مني بن برادلي أن أتصل بجودى باول المستشار الصحفي للرئيس وأن أخطره بأن الواشنطن بوست قررت أن تنشر، وأنه طبقاً لتعهده للرئيس يخطره الآن – قبلها بـ24 ساعة، وفعلت، وكان واضحاً أن المستشار الصحفي للرئيس متضايق من الرسالة التي نقلتها إليه وتمتم قائلاً: "أنها سوف تكون مفاجأة غير سارة لسايروس فانس "المسكين" عندما يخطو من الطائرة إلى أرض المطار في عمان".

ثم مضى بأول في حديثه معي وكأنه يحاول أن يشدنى إلى وجهة نظر: "إنكم سوف تسببون بهذا الشكل حرجاً شخصياً للرئيس، فبعض مستشاريه اعتبروا مقابلته لكم من الأصل والأساس خطأ وقع فيه، وبين هؤلاء زيجنيو برجنسكي مستشاره للأمن القومي، وقد قال برجنسكي للرئيس "أن نشر القصة على هذا النحو سوف يكون إشارة تحذير إلى كل المصادر التي تدفع لها وكالة المخابرات المركزية الامريكية بأن ترتيباتهم السرية مع الوكالة ليست آمنة".

"وصباح يوم الجمعة 18 فبراير 1977 نشرت الواشنطن بوست القصة تحت عنوان بعرض الصفحة الأولى كلها، وتصادف ذلك بالفعل – دون قصد منا – مع نفس الوقت الذي حطت فيه طائرة وزير الخارجية سايروس فانس بادئاً رحلته لدفع مسيرة السلام.

ويوم 25 فبراير 1977 نقلت وكالة الأسوشياتد برس من مكتبها في الكونجرس أن الرئيس كارتر روى أمام اللجنة الرئيسية لمجلس الشيوخ تفاصيل ما دار بينه وبين بن برادلي وأنا.

ورأت اللجنة تسجيل إجابته في مذكرة خاصة نُقِل فيها عن الرئيس قوله "إن الملك حسين كان أهم مصدر للمعلومات لنا في الشرق الأوسط".

ويجئ الدور الآن على الشهادة الثانية التي آثر الكل إغفالها بالسكوت استهانة أو إهانة للعقل، وتَرِدُ هذه الشهادة في الكتاب الذي تعرض بطريقة مؤثقة للتاريخ السري للموساد بعنوان "جواسيس جدعون"، وقد صدر هو الآخر بعد وفاة المَلِك "حسين" بعدة أسابيع.

ذلك أنه على صفحتي 58 و 59 من هذا الكتاب أَوْرَدَ مُؤَلِّفُه "جوردون توماس" وهو من أبرز الخبراء في تاريخ الاجهزة السرية في الغرب – حصراً بالمنجزات الهامة التي حققها جهاز الموساد على عهد مديره الأشهر "إيسر هاريل"، وقد وردت على النحول التالي:

1. **إدخال سياسة الاغتيال المنظم لأعداء إسرائيل.**
2. **إنشاء علاقات –حتى بالاختراق– مع جهاز المخابرات السوفيتي الـ K G B.**
3. **إعطاء أولوية أولى لتنظيم الهجرة السرية ليهود أوروبا الشرقية إلى إسرائيل (قبل أن يسمح بها رسمياً ثم تتحول إلى نزوح جماعي عقب انهيار الاتحاد السوفيتي).**
4. **إتقان فنون استعمال المرأة والجنس والابتزاز في خدمة أعمال المخابرات.**
5. **(وهنا ما يتصل بالمَلِك "حسين") تنظيم اختراق القصر الملكي في عمان والدوائر المحيطة به، لكن هذه المحاولة توقفت فيما بعد عندما أصبح الحاكم الهاشمي مسئولاً رئيسياً لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية في المنطقة.**

مفكرات في ملفات ملكية
المعلوم والمكتوم في دور الملك الحسن وسياساته

(1)

لقد كانت المفكرة الأولى في هذه "الملفات الملكية" – ملحقاً أضيف إلى حديث سبق عن "شخصية المَلِك حسين"، والآن فإن المفكرة الثانية في هذه "الملفات الملكية" – مدخل يمهد لحديث جديد عن "شخصية المَلِك الحسن"، وربما أن هذا التمهيد مطلوب لأن المفكرة الثانية من هذه الملفات الملكية" – كانت مساجلة علنية منشورة جرت بين المَلِك "الحسن" وبيني، وقد ظهرت على صفحات جريدة الأهرام في العدد الصادر صباح 25 فبراير 1993، وكان المَلِك "الحسن" وقتها في كامل صحته وأوج سلطته جالساً عل عرش المغرب ومشاركاً رئيسياً وبدور قيادي في توجيه مصائر أزمة الشرق الأوسط.

وكانت المناسبة التي استوجبت المساجلة – علنية وصريحة– بين المَلِك "الحسن" وبينى أن المَلِك قدر في بداية سنة 1993 أن ينشر مذكراته، وبالفعل ظهرت المذكرات باللغة الفرنسية تحت عنوان " La memoire d'un Roi" وترجمتها "ذاكرة مَلِك"، وكان هذا بالضبط هو العنوان الذي صدرت به – فعلا– طبعة عربية من هذه المذكرات نشرتها صحف كثيرة في العالم العربي فصولا مستفيضة.

وكان الداعي إلى المساجلة – بعد مناسبتها– أن المَلِك "الحسن" روى في مذكراته واقعة عنى، ووجدت ضروريا أن أرد عليها بـ"ذاكرة صحفي" في مواجهة "ذاكرة مَلِك".

وكان نص ما ورد في "ذاكرة صحفي" – وهذه هي المفكرة رقم 2 من هذه "الملفات الملكية" – كما يلي:

إن المَلِك الحسن يروي عنى (هيكل) في كتابه – صفحة 93 و 94– عدة أمور:

1. **أننى ساندت انقلاباً ضده قام به قائد جيشه الجنرال محمد أو فقير، وقد كاد المَلِك يفقد حياته – فضلاً عن عرشه– في هذا الانقلاب، لولا معجزة من السماء.**
2. **أن مساندتي لهذا الانقلاب جاءت عن طريق علمي المسبق بتدبيره وتعاطفي مع القائمين به.**
3. **أن الدليل على ذلك كان طريقة تغطية "الأهرام" الصحفية لهذا الانقلاب، فقد كانت تغطية "الأهرام" – وكنت أتشرف برئاسة تحريره أيامها– تغطية عارف من قبل ببواطن الأمور وليست مجرد تغطية صحفية عادية.**

في يناير سنة 1975 – كما ألمحت من قبل– كنت في زيارة للمغرب وعلى موعد مع المَلِك الحسن الثاني، ووصلت إلى مطار الرباط قادماً من باريس.

وصباح اليوم التالي أُخطِرت أنني ضيف عشاء على مائدة المَلِك، وفي المساء كنت على باب قصره في فارس، وبعد دقائق كنت في حضرته.

كان معي الأستاذ جميل مطر، وكان بكفاءته ودقته يكتب محضراً لوقائع اللقاء بينما الحديث جارٍ والحوار متصل.

إن الحديث تداعى بعد ذلك إلى أحوال العالم العربي الراهنة، والأوضاع السائدة فيه، والاحتمالات والنتائج، وكان المَلِك مطلعاً في حديثه وعارفاً.

وبعد ساعة وعشر دقائق بالضبط جاء من يدعونا إلى العشاء، فقام المَلِك وقمنا معه عبر أبهاء طويلة وقف على جانب منها رجال يهللون تحية له صائحين: "عز لمولانا السلطان".

وكان حديث العشاء على أطراف الفن والادب والتاريخ، وقد سرت إلينا من بعيد أصداء موشحات أندلسية، امتزجت مع عبق العطور الملكية فملأت قاعة العشاء بجو مثير للخيار، وكأن ليالي المجد في قرطبة عادت حية نابضة نشوى بالترف والجمال.

بعد العشاء غسلنا أيدينا بماء الورد يصبه خدم المَلِك من أباريق ذهبية، وعدنا لاستئناف الحديث، لكننا لم نرجع إلى القاعة التي بدأناه فيها، وإنما قادنا المَلِك على سلم رخامي بديع إلى بناء أضافه حديثاً إلى القصر العريق في فاس، وكانت قمته قاعة واسعة تعلوها قبة مرتفعة من الرخام أيضاً تتدلى منها أضخم ما رأيت في حياتي من الثريات المصنوعة من أنقى أنواع البللور، وكان طراز القاعة بالطبع أندلسياً، وتتصل فيه النقوش البديعة مع خطوط الذهب، شِعْراً ونّثراً ما بين القبة والجدران.

وأبديت ملاحظة على حجم الثريا إلى درجة التخوف من احتمال سقوط سقف القبة لثقلها، وقال المَلِك: إنها بالفعل أكبر "نجفة" من نوعها في العالم حسب علمه، وأنها صنعت في ألمانيا خصيصاً لهذه القاعة" التي يحب الجلوس فيها لأحاديث ما بعد العشاء، وأقداح الشاي المغربي الأخضر ذهبية مطعمة تدور معطرة على سُمَّار الليل.

واستأنفنا الحديث من حيث تركناه، وراح المَلِك يتحدث عن تجربته في المُلْك، وكان بين ما قاله أنه تلقى أول درس عملي في المُلْك في أول يوم من ولايته، وكان ذلك أثناء جنازة والده المَلِك محمد الخامس.

وفجأة سكت المَلِك "أريد أن اكون صريحاً معك.. فلنوقف هذا الحديث الآن لسؤال يدور في خاطري من لحظة لقائنا.. ولقد كتمته مجاملة لك، ولكني أشعر أنني لن أكون أميناً معك إذا لم أصارحك بخواطري".

أريد أن أسالك: ماذا كنت تعرف عن محاولات الانقلاب التي دبرها أوفقير علي، سواء بمحاولة قتلي بواسطة مذبوح (الجنرال مذبوح مساعد أوفقير) في يوم عيد ميلادي في قصر الصخيرات (في يوليو 1971)، ثم بعد ذلك عندما حاول (بعمل مباشر قاده بنفسه سنة 1972) ضرب طائرتي بالنار وأنا عائد إلى الرباط من باريس"؟

وقلت ودهشتي تزداد : "جلالة المَلِك.. إن صيغة سؤالك بـ"ماذا كنت أعرف" تحمل إيحاء بأنه كان لي علم مسبق بهذه المحاولات ضدك..".

وقال المَلِك على الفور: "الحقيقة أن هذا هو قصدي بالضبط.. لا أقطع بأنك كنت تعرف. ولكني لدى ما يدعوني إلى الشك في أنك كنت تعرف".

وقلت للمَلِك: "إنني أستغرب أن أسمع منه أن مثل ذلك دار في خاطره من قريب أو من بعيد".

ورد قائلاً: "إذن كيف تفسر الطريقة التي صدر بها "الأهرام" صبيحة يوم الانقلاب؟

ورغم أن استغرابي بلغ مداه، فقد رحت أشرح للمَلِك في هدوء أساليب العمل الصحفي الحديث. حاولت أن أشرح كيف تتلقى الجريدة أخبارها، كيف تصل إليها التفاصيل بسرعة ثلاثة آلاف كلمة من جميع الوكالات في كل دقيقة، وكيف، وكيف.. إلى آخره.

وكان المَلِك يسمعني بصبر، وكان كل الجالسين معنا – أربعة شهود– يتابعون حوارنا مأخوذين لم يتدخل واحد فيه بكلمة، ولوهلة بدا لي أن المَلِك يفكر فيما قلته له – لكنه عاد بعد قليل يطرح سؤالاً أو تساؤلاً آخر:

"هل تعرف أن أحد المتآمرين مع أوفقير (في محاولته المباشرة الثانية بعد شهور من محاولة الجنرال مذبوح) اعترف بأن خذا الخائن (أوفقير) كان ينوي بعد نجاح انقلابه أن يبعث إليك بدعوة لكي تجئ وتكتب عن انقلابه، كما كتبت عن انقلاب معمر القذافي في ليبيا؟.. إنك كنت أول واحد ذهب إلى ليبيا نفس ليلة انقلاب القذافي".

ولم أتمالك نفسي، فابتسمت وقلت للمَلِك:

"جلالة المَلِك.. إن نية أوفقير بدعوتي لم تصل إلى علمي.

وعلى فرض أنه نجح في انقلابه ضدكم ودعاني إلى المغرب، فقد كان لدى كل سبب يدعوني إلى عدم الاستجابة، وأهم الأسباب أنني اعرف الرجل وأعرف ماضيه، أما القذافي فقد استجبت لدعوته لانه كان ظاهرة مفاجئة.. جديدة ومثيرة".

ثم أضفت: "الغريب أنك تعرف رأيي في أوفقير، فهو رأي لم أخفه أبداً، وقد كتبته مراراً وبإلحاح.

إننا جميعاً في مصر – وجمال عبد الناصر أولنا– كنا نعرف أن أوفقير هو رجل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في المغرب العربي كله.

كنا دائماً نشك في الرجل، وكنا دائماً نتهمه، وقد كنت أنت الذي اعتبرت أن بعض هجومنا العلني عليه هجوم مستتر عليك، وبصفه رجلك، فهل تتصور أنني أو أي واحد غيري كان يمكن له أن يظن أو يخطر بخياله أن أوفقير رجل مهيأ لأي عمل وطني أو قومي، وذلك على فرض أن انقلابه عليك يمكن أن يعتبر عملاً وطنياً أو قومياً؟

لا أستطيع أن أخفي عنك أنني أستغرب ما سمعته منك الآن"، ثم أسعفتني الذاكرة بواقعة قريبة، فقلت للمَلِك:

"إن أنور السادات الآن رئيس للجمهورية في مصر، فهل تعرف كيف جاء اختياره؟.. إن "أوفقير على نحو أو آخر له ضلع في هذا الإختيار".

وكان المَلِك يسمعني بإهتمام، واستطردت:

"في ديسمبر 1969 كان جمال عبد الناصر يستعد للسفر إلى الرباط لحضور مؤتمر القمة العربي الذي دعوت جلالتك إليه، وجاءت معلومات بأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تدبر مؤامرة لاغتياله في المغرب، وأن المكلف بها هو أوفقير وزير داخليتك والمسئول عن الأمن في مملكتك، ووقتها فكر جمال عبد الناصر طويلاً في توصيات من أجهزة أمنية مصرية دعته إلى التغيب عن مؤتمر القمة، لكنه

صمم على الذهاب، ومن باب الاحتياط فقد راى تعيين نائب لرئيس الجمهورية (أنور السادات) فترة غيابه حتى لا يحدث فراغ على قمة السلطة في مصر إذا حدث له شيء في المغرب.

فهل الرجل الذي بلغ شكنا فيه هذه الدرجة – هو الرجل الذي أسانده في انقلاب يستولي به على السلطة في المغرب؟

ووجدتني أقول للمَلِك: "إنني أؤكد لك أنني لم أكن أعرف على الإطلاق، واكثر من ذلك فقد كان أوفقير آخر رجل كنت أظنه ينقلب عليك، لقد كان أمامنا موضع ثقتك وسرك، وكان أقرب المقربين إليك، ولقد كانت صدمتنا بانقلابه مفاجأة لنا جميعاً لا تقل عن مفاجأتك أنت".

قال المَلِك : "إنني أصدقك .. وقد انتهى الموضوع فيما يتعلق بي".

واستأنفنا أحاديثنا من حيث توقفت، وفتحنا أشرعة الحوار للسهر يأخذنا إلى بحار واسعة حتى قرب الساعات الأولى من الصباح، **وطالت سعادتي – في هذا الموضوع– ومرت السنوات طوالا حتى فاجأني كتاب "ذاكرة مَلِك".**

في بداية الصفحة 94 من الكتاب، قال المَلِك بالحرف:

"لقد انساق المذبوح (أحد جنرالات أوفقير، وكان هو الذي قاد محاولة الانقلاب الدامية والفاشلة الأولى في الصخيرات سنة 1971) وراء المصريين، ومعلوم أن الجرائد المصرية تصل إلى المغرب بعد ست ساعات من طبعها، وفي يوم 10 يوليو وبعد سويعات على المحاولة الانقلابية كتبت صحيفة الأهرام القاهرية واسعة الانتشار على خمسة اعمدة وتحت عنوان بارز "مقتل الطاغية الحسن الثاني، انتهى الديكتاتور وانتصرت القوى الحية والوطنية بالجيش"، – وكان محمد حسنين هيكل من رجالات جمال عبد الناصر.

وقد التقيت فيما بعد بمحمد حسنين هيكل وتباحثنا طويلا في الموضوع، ولقد وعدته بألا أبوح أبداً بما دار بيننا"، وانتهيت من قراءة هذه العبارة وما تلاها، وأدركت متأخراً أن الشكوك ما زالت عالقة بـ"ذاكرة المَلِك".

ثم خطر ببالي أن أعود إلى مراجعة عدد الأهرام الصادر غداة الانقلاب، العدد الذي أثارت مواده شكوك المَلِك وهواجسه، وهو عدد 11 يوليو 1971، ولم تكن عناوينه على النحو الذي حفظته "ذاكرة مَلِك".

وفي الطبعة الثانية من نفس العدد تغيرت العناوين مع تغير مسار الحوادث – فأصبحت: "المَلِك ينجو من الهجوم".

ولقد ذهبت أبعد من ذلك خطوة في التثبت والمراجعة، ذلك أنني عدت إلى ما كتبته بنفسي في ذلك الوقت فضلاً عما نشره الأهرام من تغطية إخبارية، وإذا بي أتبين أنني أبديت رأيي بصراحة في أوفقير بعد محاولة الانقلاب الأولى، وكان بين النصوص التي وردت في مقالي – المقع التالي بالحرف: "إن الجنرال أوفقير كان دائماً تجسيداً حياً لأداة القمع والإرهاب.

وأذكر مناقشة دارت بيني وبينه أمام المَلِك وأمام شهود من بينهم السيد خالد الحسن أحد قادة فتح البارزين، وقد جرت أثناء مؤتمر القمة في الرباط سنة 1969.

لقد جاء الجنرال أوفقير يسلم على، وأحس بحيرتي وأنا أمد يدى إليه، فقد كان في ذهني ساعتها بن بركة (الزعيم المغربي الذي تولى الجنرال خطفه وقتله بشهادة الرئيس الفرنسي شارل ديجول).

وقال لي أوفقير: إنني أتحاشى الصحافة والصحفيين دائماً ولكني أتابع ما تكتب .. لماذا تهاجمني (يقصد اتهامي له بخطف بن بركة) وأنت لا تملك دليلاً؟

وقال له متأدباً لأن المَلِك كان يتابع باهتمام كما أن غيره كان قد لفت انتباههم منظري واقفاً مع أوفقير بينما صداقتي لبن بركة معروفة لديهم بتفاصيلها..

قلت لأوفقير: أنت رجل غامض على الأقل، والرجل الغامض متعب لخصومه ولأصدقائه على السواء.. خصومه لا يعرفون بالضبط .. ماذا؟ وأصدقاؤه لا يعرفون بالضبط.. كيف؟

وقال أوفقير: إنك تحيرني .. لم أفهم قصدك بماذا ولا بكيف؟

قلت: لأنك غامض فإن الخصوم لا يعرفون بالضبط ماذا فعلت؟ كما أن الأصدقاء لا يعرفون بالضبط كيف يدافعون عنك.. هل كلامي الآن واضح؟

(انتهى مقال "ذاكرة صحفي– ردا على كتاب "ذاكرة ملك")

(2)

الاعترافات تنهمر مع الدموع!.. والتاريخ وحده يستطيع أن يحكم

عندما أُعْلِن عن وفاة المَلِك "الحسن" يوم 23 يوليو 1999، كانت ردود الفعل في إسرائيل عاجزة عن السيطرة على النفس، وكذلك أدى الإعلان عن وفاة المَلِك إلى خلل في التوازن أعقبته لحظة تحولت إلى ثغرة تدفقت منها دون تحسب أشياء طال الحرص عليها وتمكن الحذر.

وهكذا فإن التعبيرات انفلتت إلى حد الاعتراف على مستوى الحكومة الإسرائيلية وهي مسئولة، وعلى المستوى الإعلامي الإسرائيلي وهو لسوء الحظ أكثر مصداقية من غيره في المنطقة!

وقد يكون من المفيد استعراض بعض النماذج مما انفلت إلى حد الاعتراف:

القدس 24 يوليو 1999: بيان من رئيس الوزراء "إيهود باراك" بمناسبة وفاة المَلِك "الحسن الثاني" مَلِك المغرب:

"إن قائداً عظيما لشعبه لم يعد الآن موجوداً، لقد كان رجلاً بعيد النظر وصديقاً لكل حكومات إسرائيل في محاولاتها للتوصل إلى سلام مع الشعب العربي.

لقد صُدِم الشعب والحكومة في إسرائيل بإعلان وفاة المَلِك الحسن الثاني مَلِك المغرب، فطوال حياته أظهر الحسن الثاني شجاعة نادرة وحكمة سياسية جعلت منه رائداً في التقارب مع إسرائيل، وفي بناء جسور سياسية واقتصادية بين البلدين.

وقد أصبح صديقاً لشعب إسرائيل كما كان حبيباً ليهود المغرب، إن إسرائيل كلها تحنى رأسها أمام ذاكره وتشارك في الحزن العميق للشعب المغربي".

المؤتمر اليهودي – الأمريكي ينعي وفاة المَلِك الحسن صديق السلام وحامي اليهود في مملكته:

نيويورك 26 يوليو 1999: "بعد شهور قليلة من وفاة المَلِك حسين مَلِك الأردن اختفى من الساحة نهائياً وقبل الأوان المَلِك الحسن مَلِك المغرب.

إن المَلِك حسين والمَلِك الحسن كليهما أدرك جنون سياسات العداء مع إسرائيل، وقد لعب كلاهما دوراً رئيسياً في دفع تقدم عملية السلام بما في ذلك اشتراكهما سراً وعلناً في جعل اتفاقيات كامب دافيد بين مصر وإسرائيل ممكنة. ولم يقلل مرور السنين من ولاء المَلِك لرفاهية اليهود وبخاصة يهود بلده، فقد كان المَلِك الحسن فخوراً بدوره في حماية الجالية اليهودية.

1999/7/24 ، إعلان في كل الصحف الأمريكية كان السطر الأول فيه باللغة العربية والثاني باللغة الإنجليزية والثالث باللغة العبرية – يقول: فلتكن ذكراه مباركة للأبد.

بتواضع أمام الله الذي خلقنا جميعاً ننعي مع الشعب المغربي وفاة صاحب الجلالة المَلِك الحسن الثاني كقائد ممتاز وشجاع ومفتوح وعظيم قام بأعمال جسورة وملهمة في سبيل قضية السلام في الشرقا لأوسط، وسوف نحيي ذكراه إلى الأبد بعملنا من أجل الأهداف العظيمة التي سعى لها بعزيمته.

اللجنة الأمريكية – اليهودية

في عددها الصادر يوم الأحد أول أغسطس نشرت جريدة "الجيرو ساليم بوست" مقالاً لمحرر القسم السياسي فيها جاء فيه:

"لقد كان سلوك المَلِك الحسن صاحب الوجه الصخرى والعلاقة الوثيقة مع الغرب تجاه اليهود وتجاه إسرائيل سلوكاً يدعو للإعجاب، وفي حين أن معظم النظم العربية ناصبت إسرائيل العداء إلى درجة التهديد بإبادتها فإن الحسن سمح للموساد (جهاز المخابرات الإسرائيلي) بان تقيم مركزاً كبيراً لها في المغرب.

وكذلك فقد كان هو الرجل الذي استضاف الاجتماع الأول بين موشى ديان وبين حسن التهامي مبعوث الرئيس السادات وكان هذا اللقاء (سنة 1977) هو الذي مَهَّد فيما بعد لاتفاقية كامب دافيد".

جيروسالم بوست يوم الثلاثاء 27 يوليو 1999:

"في ظروف شهور قليلة فقدت إسرائيل اثنين من أغلى أصدقائها في المنطقة وهما المَلِك حسين والمَلِك الحسن، فكلاهما كان لديه الإلهام والشجاعة لدفع العالم العربي إلى التصالح مع إسرائيل.

وبالنسبة لنا في هذا البلد (إسرائيل) فإن هذبن الرجلين لعبا دوراً حيوياً في النشاط الخفي الذي مكن إسرائيل من اختراق الطوق الفولاذي للسلبية التي أجمع عليها العالم العربي في تعامله مع ما سموه بـ"الكيان الصهيوني" .

كان الرئيس السادات هو أول زعيم عربي خطا في العلن خارج هذا الطوق، ولكن الحقيقة أن المَلِكين سبقاه في إحداث شروخ وفجوات مؤثرة في هذا الطوق".

الثلاثاء 27 يوليو 1999

كتب إريك سيلفر وهو واحد من أشهر الصحفيين الإسرائيليين مقالاً في جريدة "الإندبندنت" البريطانية جاء فيه:

"إن وفاة "المَلِك الحسن يوم الجمعة الماضي لابد لها ان تذكرنا بالعلاقات الخاصة بينه وبين إسرائيل وهي علاقات استفاد منها المَلِك كما استفادت إسرائيل، فقد كانت المخابرات الإسرائيلية هي التي أشرفت على تنظيم المخابرات المغربية وتدريب عملائها.

ولمدة أربعين سنة فإن العلاقات بين الجانبين كانت علاقات غير عادية وبخاصة في مجال المخابرات وضد أعداء مشتركين في الشرق الأوسط.

وإلى جانب تنظيم المخابرات المغربية وتدريب عملائها فإن إسرائيل أمدت المَلِك بأسلحة كثيرة بينها الدبابات، كما لعبت أدواراً مهمة في مطاردة وتصفية أعدائه والمعارضين له.

إن العلاقات السرية بين الطرفين بدأت في عهد المَلِك محمد الخامس الذي سمح لعشرات ألوف من اليهود المغاربة بالهجرة إلى إسرائيل، ولكن المَلِك الحسن بعد جلوسه على العرش طَوَّر العلاقات المغربية الإسرائيلية وأرساها على قواعد مؤسسية، وكان ذلك بعد لقاءات مطولة بينه وبين مائير آميت رئيس جهاز الموساد الإسرائيلي الذي وصل إلى مدينة مراكش في شهر مايو سنة 1964 للقاءاته مع المَلِك.

وكما يكشف يوسى ميلمان في دراسته الهامة عن المخابرات الإسرائيلية فإن الموساد كانت تتولى بطريقة منظمة إمداد المَلِك الحسن بمعلومات وتقارير عن النوايا العدائية لزعيم مصر الثوري جمال عبد الناصر.

وطبقاً لتقارير مؤكدة فإن الموساد تولت إمداد المغرب بمائة دبابة لتقوية موقف الحسن إزاء الجزائر أثناء التوتر الذي حدث بين المغرب والجزائر في الستينات.

وكانت الموساد هي التي تولت متابعة تحركات المعارض الشهير للمَلِك المهدي بن بركة والإبلاغ عنها تمهيداً لخطفه وقتله بواسطة رجال المَلِك لكن الموساد نفسها لم تشترك في عملية القتل".

جريدة "معاريف" الإسرائيلية 26 يوليو 1999:

كشف أمير أورين (مسئول بارز في الموساد) في مقابلة مع هذه الجريدة (معاريف) أن المَلِك الحسن سمح للموساد بأن تَتَسَمَّع على المناقشات التي دارت بين الزعماء السياسيين والقادة العسكريين للعالم العربي وذلك أثناء مؤتمر قمة عربي عُقِد في الرباط سنة 1965 وكان موضوع البحث الرئيسي فيه هو خطط القيادة العربية الموحدة في المواجهة مع إسرائيل، ولابد من الاعتراف أن هذا التَسَمُّع كانت له نتائج مخابراتية هامة في الجهد الذي أدى إلى انتصار إسرائيل في حرب الأيام السنة سنة 1967.

وكشف أورين أن العلاقات بين البلدين فَتَرَت بعد حرب يوم الغفران سنة 1973، فقد تضايقت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل من أن المَلِك بعث بقوة رمزية للقتال مع سوريا كبادرة للتضامن العربي.

وبرغم أن المَلِك (الحسن) أوضح لأصدقائه الإسرائيليين أنه كان مضطراً إلى ذلك وأن مشاركة قواته في الحرب كانت رمزية فإن جولدا مائير لم تغفر له ولم تعد الصداقة إلى مكانها إلا عندما أصبح إسحق رابين رئيسا لوزراء إسرائيل بعد استقالة مائير وقام برحلة سرية إلى المغرب حيث قابل المَلِك الحسن وعادت المياه إلى مجاريها.

وأوضح أورين أن المَلِك كان بين أكثر المشجعين للرئيس السادات على الاتصال المباشر بإسرائيل وقد رتب بنفسه وفي قصره أول لقاء سري بين البلدين، وقد شجع الرئيس السادات على الذهاب للقدس.

26 يوليو 1999: نشرت صحيفة "النيويورك تايمز" كبرى الصحف الأميريكية تقريرا لمراسلتها في القدس "ديبورا سونتاج" جاء فيه:

"لقد خصص الإعلام الإسرائيلي كل مساحاته أمس لعقود من العلاقات السرية بين إسرائيل والمَلِك الحسن، وقام بتقديم العرفان لزعيم عربي بدأ حياته بتوجيه مُرَبِّية يهودية.

وقد روى الإعلام الإسرائيلي تفاصيل واسعة عن اللقاءات السرية التي قام بها ساسة إسرائيليون وقادة سياسيون وعسكريون إلى جانب رؤساء أجهزة أمنية للقاءات لم تنقطع مع المَلِك الحسن، والرأي السائد هو ان العلاقات بين إسرائيل والمَلِك كانت ذات فائدة مشتركة للطرفين.

فالمَلِك الحسن اعطى للموساد ولغيرها من أجهزة الأمن الإسرائيلي الإذن بأن تَتَسَمَّع على مناقشات ومداولات مؤتمرات عربية وإسلامية على مستوى القمة، وفي نفس الوقت فإن الموساد كانت مسئولة عن حماية المَلِك من أية محاولة لاغتياله سواء في بلاده أو خارجها وخصوصاً في فرنسا التي كان المَلِك دائم التردد عليها، وقد قال جوزيف ألفر وهو مسئول كبير سابق في الموساد: "بالنسبة للمَلِك فإن المخابرات الإسرائيلية كانت درعاً لحماية نظامه، وبالنسبة لإسرائيل فإن المَلِك الحسن كان نافذة تطل منها إسرائيل على ما يجري داخل العالم العربي وعلى أرفع مستويات صنع القرار فيه".

ثم جاء اخيراً تكريم المَلِك "الحسن" إسرائيلياً على نحو لم يسبق له مثيل، فقد أُعْلِن رسمياً يوم 30 أغسطس 1999 عن تشكيل لجنة على مستوى عالٍ في إسرائيل للبحث في خطة تكريم "لا يُنْسى" للمَلِك "الحسن"، وكانت اللجنة برئاسة "إيهود بارك" رئيس وزراء إسرائيل، وكان بين أعضائها "شيمون بيريز" رئيس الوزراء السابق ووزير التعاون الإقليمي في الوزارة الإسرائيلية الحالية، و"دافيد ليفي" وزير الخارجية، وشلولوبن آمي" وزير المالية الأسبق، وغيرهم.

وكان أول اقتراح تقدمت به اللجنة وجرت الموافقة مبدئياً عليه هو تسمية 70 موقعاً (ميادين وشوارع متنزهات وحدائق) باسم المَلِك "الحسن"، وإلى جانب ذلك فقد طلبت اللجنة أن يحمل طابع البريد التذكاري الأول سنة 2000 صورة للمَلِك "الحسن"!

وكان ذلك كله موجباً لوقفة ضرورية تتساءل عربياً عن كل هذا الذي جرت به الاعترافات مع الدموع – إسرائيلياً!!

(3)

ولم يكن هناك شك في "زمانه" و "أوانه" أن هناك معلومات خطيرة عن أوضاع العالم العربي وأمنه القومي بالتحديد تخرج من المغرب وتصل إلى إسرائيل، ولقد نّشَرْتُ في كتاب "الانفجار 1967" – الذي نُشِرَ سنة 1990 – واقعة هامة بدت في وقتها خطيرة – لكن خطورتها تأخذ الآن بُعْداً مختلفاً بالكامل!

كانت الواقعة كما نَشَرْتُها – في كتاب "الانفجار 1967" – بداية من الصفحة رقم 212 حتى 214 – ثم اكتملت تفاصيلها بعد ذلك بداية من الصفحة 314 حتى 316– تتلخص في أن "مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الدار البيضاء في سبتمبر 1965 – بحث مشروعاً سورياً (قدمه رئيس الدولة حينئذ اللواء "أمين الحافظ") يطلب قراراً عربياً على مستوى القمة يطالب بـ"التصميم على خوض معركة تحرير فلسطين معتمدين بعد الله على مقدراتنا وإمكانياتنا مهما كلفنا ذلك ومهما كانت النتيجة" – ثم إن هذا المشروع السوري مضى بعد ذلك إلى تحديد للقوات العسكرية القادرة على تنفيذ هذه المهمة.

والذي حصل وقتها أن مؤتمر القمة العربي وقد استمع إلى عرض سوري للخطة واطلع على أوراقها وجداولها ورسومها لم يصدر بشأنها قراراً، ولعله وجدها بالغة الصعوبة وإقليمياً ودولياً، واهم من ذلك عملياً– ومن ثم ظلت المناقشة مفتوحة ومُعَلَّقة في الهواء.

ولكن المهم أن هذا الموضوع عُرِض فعلاً ونوقِش في اجتماع على مستوى القمة العربية في الدار البيضاء في سبتمبر 1965.

ثم كان الاهم بعد قرابة سنة من اجتماع الدار البيضاء – أن لقاء جرى بين "جوزيب بروزتيتو" زعيم يوجوسلافيا ورئيسها في ذلك الوقت، وبين الرئيس "جمال عبد الناصر" وفوجئ "جمال عبد الناصر" بصديقه اليوجوسلافي يقول له بالحرف (كما رويت على أنه "عرف بمسألة أراد أن يكون الرئيس جمال عبد الناصر على علم بها"، ثم قطع "تيتو" كلامه وتوجه بسؤال مباشر إلى "جمال عبد الناصر" قائلاً له: "هل صحيح أنكم وضعتم خطة عسكرية للقضاء على إسرائيل أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء في العام الماضي؟".

ودُهِش "جمال عبد الناصر" من السؤال وبدت دهشته واضحة أمام صديقه الذي واصل حديثه قائلاً: "منذ عدة شهور ألح جولدمان ("ناحوم جولدمان" رئيس الوكالة اليهودية أيامها) علىّ بطلب مقابلة معي ولم أستجب لطلبه متصوراً أنه يريد أن يسمعني وأحداً من "مونولوجاته الشهيرة" عن السلام طالباً وساطتي معك كما فعل مرات من قبل.

لكن جولدمان بعث إلىّ يقول أن لديه موضوعاً عاجلاً من الضروري اطلاعي عليه، وهو موضوع جديد تماماً، وحددت له موعداً وقابلته بالفعل قبل عشرة أيام في دوبروفنيك، وعندما

لقيته فإنه لم ينتظر حتى المجاملات التقليدية، وإنما بدأ على الفور بما يشغله قائلاً لي : "إن رؤساء الدول العربية الذين اجتمعوا في الدار البيضاء وضعوا خطة للقضاء على إسرائيل، وأن هذه الخطة وصلت من ثلاثة مصادر إلى إسرائيل، وقد دعاني رئيس الوزراء ليفي أشكول بطريقة عاجلة إلى مقابلته في القدس وأطلعني على هذه الخطة، وقال لي "إذا كنت تتصور أننا فبركناها لإقناعك بما نقول فلك أن تسأل أصدقاءك في البيت الأبيض أو وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في واشنطن، فقد وصلت إليهم الخطة كما وصلت إلينا، وقد اطلع عليها الرئيس جونسون بنفسه وقرر بعدها زيادة المساعدات العسكرية لإسرائيل بطريقة تخطت كل الحدود التي عرفناها من قبل".

وحاول "جمال عبد الناصر" أن يسيطر على مشاعره وحتى تعبيرات وجهه، وكان يريد أن يسمع أكثر، وكان لدى الرئيس "تيتو" ما يضيفه، فاستطرد قائلاً أن "جولدمان قال لي بعد ذلك أن رئيس وزراء إسرائيل ليفي أشكول أخبره بأنه الآن لا يستطيع ان يقبل أنصاف حلول، فإسرائيل في خطر لم يتعرض له اليهود منذ أيام هتلر والهولوكوست، وبالعكس فإن الخطر هذه المرة أفدح، فاليهود الذين اختفوا تحت حكم النازي كانوا في المنفى، واما الآن فإن 2.5 مليون يهودي معرضون للإبادة في عقر وطنهم بعد أن استطاعوا تحقيق حلم إنشاء الدولة.

وكان طلب أشكول بعد ذلك من جولدمان أنه يريد من الحركة اليهودية أن تدبر له مبلغاً كبيراً من المال لاستكمال احتياجات إسرائيل من السلاح، فهي لا تريد أن تعتمد فقط على المصادر الامريكية للسلاح رغم كرمها، لأن اعتماد إسرائيل بالكامل على السلاح الأمريكي وحده من شأنه أن يعطي لواشطن نوعاً من حق الاعتراض – الفيتو– على تحقيق أية أهداف إسرائيلية لا تريدها الولايات المتحدة وتريدها إسرائيل.

ثم قام أشكول بدعوة الجنرال رابين رئيس أركان الحرب لكي يشرح لجولدمان الموقف الصعب الذي يمكن أن تجد إسرائيل نفسها فيه لو أن الخطة العربية للدار البيضاء وُضِعَت موضع التنفيذ، وتحدث رابين فقال أنه لا يشك في صحة الوثيقة ولا يشك في النوايا التي تتضمنها، والسؤال الوحيد الباقي أمامه هو "متى"؟ – أي انها مسألة توقيت وإسرائيل لا يمكن أن تقبل توقيتاً عربياً يُفْرَض عليها".

وواصل الرئيس "تيتو" حديثه فقال: "عندما سمعت هذا الكلام من جولدمان كان تعليقي عليه أنني لا أصدق، وعلى فرض أن العرب لديهم مثل هذه النوايا فلست أظن أنهم يضعونها على ورق، وحتى إذا وضعوها على ورق، فمن المؤكد أنهم سوف يحتاطون كي لا تصل إلى إسرائيل وإلى الولايات المتحدة أخبارهم من ثلاثة مصادر أو أربعة.

ورَدَّ على جولدمان بأن ذلك كان انطباعه الأولى وهو يسمع أشكول، لكنه بعد أن رأى الأوراق وتأكد أن البيت الأبيض والمخابرات المركزية لديهما علم بحقيقة الموضوع فإنه كان مضطراً أن يصدق".

(4)

إن "جمال عبد الناصر" الذي فوجئ بما سمع من "تيتو" استطاع على الفور أن يُدرِك مدى صحة المعلومات التي وصلت لإسرائيل، وقد قدر خطورتها.

ومن الغريب أن شكوكه – وقتها – اتجهت إلى الجنرال "محمد أوفقير" وزير المَلِك "الحسن" القوى والنافذ خصوصاً في مجال المخابرات – كلنه لم يرد على باله، ولا حتى كهاجس أو كابوس– أن المشكلة فوق "أوفقير" وأعلى منه، وأن الموساد – كما يظهر الآن من شهادات الساسة ووسائل الإعلام الإسرائيلية في مناسبة رحيل المَلِك "الحسن" – كان لها مركز تَنَصُّف وتَسَمُّع على كل كلمة تجري في اجتماعات ومداولات ملوك العرب ورؤسائهم في الرباط.

والأغرب – والأشد مدعاة للتأمل الآن – هو أن "جمال عبد الناصر" رأى أن يصارح المَلِك "الحسن" أثناء مؤتمر القمة العربي في الرباط سنة 1969 بأن هناك أخباراً تتسرب من المغرب إلى إسرائيل، والأكثر في المفارقة أن "جمال عبد الناصر" أفضى إلى المَلِك "الحسن" بشكوكه في وزيره القوى "محمد أوفقير".

وربما أنه الآن فقط يمكن لأي متابع مهتم بالشأن العربي أن يسمح لنفسه بالتساؤل على الأقل – على أسباب الحرص الزائد للمَلِك "الحسن" على استضافة أكبر عدد من مؤتمرات القمة العربية والإسلامية التي تتعرض مناقشاتها بالضرورة للصراع العربي الإسرائيلي في ذلك الوقت – ثم يُلْحَق بذلك ما يُقال الآن صراحة وعلى لسان أكبر المسئولين وأكثر المعلقين في إسرائيل أن جهاز الموساد كانت لديه في قاعات اجتماع القِمَم العربية والإسلامية وسائل تَنَصُّت وتَسَمُّع، أي جهاز الموساد كان طَرَفاً حاضراً في هذه الاجتماعات وإن لم يكن مَرْئياً – مُشاركاً فيها وإن لم يفتح فمه بكلمة، وهذه مصيبة بأي معيار!

وعلى سبيل الحصر فإن المَلِك "الحسن" استضاف سبعة مؤتمرات قمة عربية، وهذا عدد قياسي من المؤتمرات لم تستطع دولة عربية أن تتحمل بتكاليفه أو بمسئولياته:

- **مؤتمر القمة العربية في الدار البيضاء في سبتمبر 1965.**

- **مؤتمر القمة العربية في الرباط في ديسمبر 1969.**
- **مؤتمر القمة العربية في الرباط في أكتوبر 1974.**
- **مؤتمر القمة العربية في فاس في نوفمبر 1981 (وهي قمة اجتمعت وانفضت دون جلسات رسمية بسبب خلافات استحال التوفيق بينها حول مشروع قدمته السعودية باسم المَلِك "فهد").**
- **مؤتمر القمة العربية في فاس في سبتمبر 1982 (وقد نوقش فيها وصدر عنها مشروع المَلِك "فهد).**
- **مؤتمر القمة العربية الطارئة في الدار البيضاء في أغسطس 1985.**
- **مؤتمر القمة العربية الطارئة في الدار البيضاء في مايو 1989.**

وعلى سبيل الحصر أيضاً فقد استضاف المَلِك الحسن" ثلاث قمم إسلامية كان أولها وأخطرها مؤتمر القمة الإسلامية الذي انعقد في سبتمبر 1969 بعد حريق المسجد الأقصى، والذي كان بين قراراته تشكيل لجنة إسلامية يرأسها المَلِك "الحسن" نفسه واعتبارها مسئولة عن إنقاذ القدس!

ثم تلى مؤتمران على مستوى القمة الإسلامية : يناير 1982، وديمسبر 1994 في الدار البيضاء.

وبرغم ذلك فإنه قبل الذهاب بالوقائع والأفكار والتأملات بعيداً وواسعاً فلا بد أن نستدرك جميعاً لنَتَنَبَّه إلى أن هناك مطلباً ضرورياً قبل كل شيء وبعد كل شيء، وهو مطلب الفهم قبل الحكم – في حالة المَلِك "الحسن" كما كان أيضاً في حالة المَلِك "حسين".

وفي مطلق الأحوال فإن البشر لا يملكون أهلية الحكم على البشر في السياسة، وإنما يملكون أهلية التقدير والتقييم بعد إطالة النظر في الوجوه المتعددة للحقيقة لأن الأداء السياسي لا تضبطه مواد من قوانين مُحَدَّدة ومُحْكَمة .

إن التاريخ يستطيع أن يحكم بعد أن يستوفي مطالبه..